مراقيون

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2424) السنة التاسعة

الخميس (15) اذار 2012

8

عباس جميل: مائدة نزهت صوت غنائي نادر

مائدة نزهت

صوت الفرح العراقي

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2424)
السنة التاسعة
الخميس (15)
اذار 2012

مائدة نزهت
فنانة القرن العشرين

عبد الوهاب الشيخلي
موسيقي راحل

ان السيدة مائدة نزهت بطبعها ، دقيقة حريصة على فنها حتى انه بدا غريباً علينا ، شدة الالتزام بمواعيد التمارين اليومية التي كنا نمارسها صباح كل يوم ضمن دوامنا المستمر في فرقة التراث الموسيقي العراقي التي اسسها استاذنا الراحل منير بشير اوائل السبعينيات ... ويبدو ان ذلك الاهتمام كان يعود الى خبرتها الطويلة في الغناء ومن ثم ادراكها الاكيد لاهمية التمارين المستمرة ، في حين كنت وبعض زملائي قليلي التجربة بطبيعة الحال زمنذاك ... لذلك كانت السيدة مائدة نزهت قد وجهت اهتمامها بهدوء ورصانه الى نظرة مغايرة سواء الى الحياة او الى الفن ... وقد كانت منذ بداياتها الفنية اواخر الاربعينيات واوائل الخمسينيات قد شرعت بالكشف عن حالة حضارية في فنها ، حيث عبرت في غنائها عن روح المدينه وكرست لاجل ذلك كل وعيها وادراكها ... لقد كانت مائدة نزهت حلقة حية في سلسلة الغناء البغدادي في اغانيها الحديثة والملحنه وكذلك في المقامات العراقية التي ادت مجموعة منها منذ اواخر السبعينيات وحتى اعتزالها الفن بشكل نهائي ، هذه المقامات التي كان رعاتها المؤدين الكبار في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، ومن حيث انها بدأت مطربة للاغاني الحديثة ، فقد اكدت تفاعلها مع المجتمع من خلال صوتها الجميل والمتمكن والسليم من العيوب وتعابيرها البغدادية الاصيلة ، وبذلك فقد اوجدت وثبتت لها طريقاً واسلوباً ادائياً فنياً بزت فيه كل المطربات العراقيات في القرن العشرين ... لم يكن هذا الاهتمام وهذا الواقع فارغاً على اساس الفن للفن ، ولكن هذه الحقيقة لم يشأ الا القليل من النقاد الموسيقيين والغنائيين الاعتراف بها ... اذ لم يكن اهتمام الفنانه مائدة نزهت يجنح نحو معرفة الى أي مدى يستطيع الفن ان ينتزع نفسه من هذه الحياة ، وانما كانت تبحث وتريد أن تعرف على وجه التحديد مايشمله الفن الغنائي والموسيقي ومايحتاج اليه من حيث الشكل والمضمون ... وقد كان هذا يشكل لها حافزاً دائمياً لنتاج اغاني ملحنه ومكتوبة بشكل جيد ومستمر ، حتى اصبحت اغانيها مجالاً رحباً للاستشهاد بها على انها اغاني حديثه ذات اداء فني راق يمتاز بروح بغدادية صرفه ... لقد اصرت السيدة مائدة نزهت كما يبدو ، ومنذ البداية على ان الغرض الاول من الفن في الاغنية الحديثه المعبرة عن خصوصية المدينه او البيئات الاخرى ، ريفية ام بدوية ام

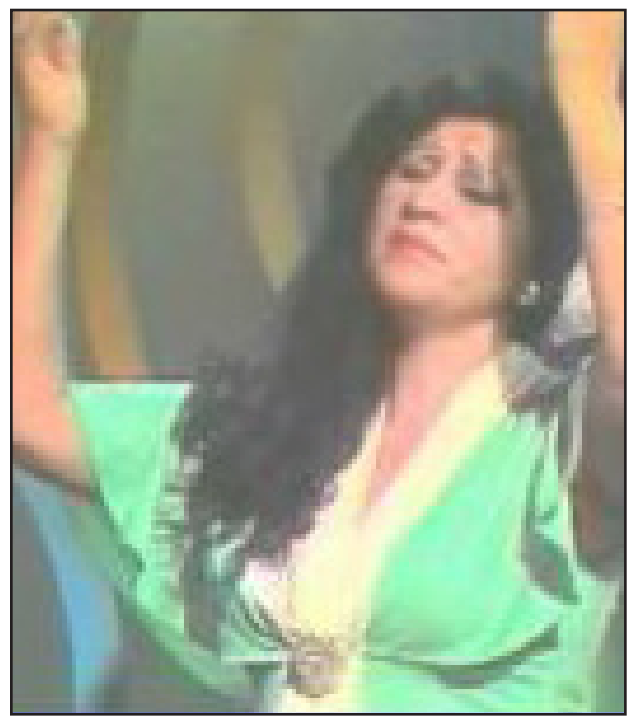

اذ لم يكن اهتمام الفنانه مائدة نزهت يجنح نحو معرفة الى أي مدى يستطيع الفن ان ينتزع نفسه من هذه الحياة ، وانما كانت تبحث وتريد أن تعرف على وجه التحديد مايشمله الفن الغنائي والموسيقي ومايحتاج اليه من حيث الشكل والمضمون ... وقد كان هذا يشكل لها حافزاً دائمياً لنتاج اغاني ملحنه ومكتوبة بشكل جيد ومستمر

غيرهما ... هو تأكيد الجانب الفكري والحضاري للاغنية الحديثه ... لذلك استطاعت الفنانه مائدة نزهت ان تثبت انها شديدة الاحساس بفن الاغنية الحديثه والاعتبارات البنائية المتماسكة لالحان اغانيها التي اعتمدت فيها على كثير من الملحنين ، وكذلك بناء الكلمة المغناة لتتحد بعدئذ هذه الالحان وهذه الكلمات بادائها المتقن الزاخر بالفن والجمال ... وبمرور الزمن وزيادة التجربة وصقلها استطاعت الفنانه الكبيرة مائدة نزهت ان ترى بوضوح كيف تهندس مسيرتها الفنية بكل هدوء وروية ...

ان دقة مائدة نزهت في اختيار الحانها وكلمات اغانيها ، غالباً ماتخلق الاحراج الفني لدى ملحنها او كاتب كلماتها ..!! وفي معالجة هذا الاحراج وهذا المأزق فانه يتحتم على الملحن او الكاتب ان يكون صبوراً يتحمل طلباتها المنطقية والمقنعة التي امتلكت رؤيتها من خلال ذوقها الفطري وتجربتها العميقة أملاً في مواكبه روح العصر ... لذا فأن ادراكها لهذا الامر يزيد من قدر المسؤولية ... وقد كان لامر وعيها وادراكها لقيمة الاغنية التي تذيعها للجمهور من خلال وسائل الاعلام المرئية والمسموعة ، ان يكون مجالاً واسعاً للبحث والتقصي عما تريد مستلزمات نجاح اغنياتها ، ولاشك ان وجود زوجها الفنان الكبير وديع خونده (سمير بغدادي) بجانبها ، عاملاً مساعداً جداً على بلورة فنها بشكل عام وتنظيم افكارها ، فقد استطاع ان يبّين الاثر الذي تمتلكه الفنانه مائدة نزهت للصفة الخفية المميزة لشخصيتها التي تحمل وجهات نظرها الرصينه ، خاصة وانهما تزوجا منذ بداية الخمسينيات ، أي انه عاصر مسيرتها الفنية منذ بدايتها وبشكل مباشر والى حد الان رغم اعتزالها الفن نهائياً اواخر الثمانينيات .. فكثيراً ماكان الفنان وديع خونده متابعاً ومطلعاً على نتاجاتها الادائية طارحاً وجهات نظره وافكاره التي تمتزج مع وجهات نظر وافكار مطربتنا العملاقة مائدة نزهت ، لنحصل في النهاية على نتاج فني لاغنية عراقية مرموقة ... ان هذين الزوجين والفنانين الكبيرين وديع خونده ومائده نزهت اللذين نجح زواجهما كما لم ينجح زواج لفنانين قبلهما ... ! لقد كانت الحانه التي اعطاها لزوجته غاية في الروعة والرصانه عبرت عن الروح البغدادية والعراقية بشكل عام ، وقد كان لوجودهما معاً كزوجين وفنانين في آن واحد قد بيّن كشفاً لتفاصيل لم يكن في وسع أي مطربة او ملحن اخر ان يوصلها الى المستمع بهذه الطريقه المهذبة من دقة الاداء وكمال اللحن وحلاوة الكلمة ... والاكثر سداداً هو ان الاغنية التي غنتها مائدة نزهت بشكل عام قد عالجت مشكلات المجتمع البغدادي والعراقي بوضوح وعبرت عن معاناته وعواطفه سواء كانت الاغنية المغناة شعبية الطابع او غير ذلك ... واي غرض اسمى من تصوير مدى هموم المتلقي ، فهي في هذه الحالة صادقة في كل تعبيراتها الادائية وهو اسهل الطرق وانجحها للوصول الى الجماهير ، وهي من ناحية اخرى ، ذكاء وفطنة ميدانية وصلت من خلالها الى قمة مجدها ... اما ان هذا التفسير يحتاج الى تأكيد فذلك امر يتجلى في اغاني كثيرة من نتاجات السيدة مائدة نزهت مثل اغاني ... التوبة - كالو حلو - حرام - حبي وحبك - حنان عيونك - خلهم يكولون - كلما امر على الدرب - كذاب الأسمر - كلبي يحبك - إسأل كلب اليهواك - بان الأخلا - تاليها وياك - إسألوه لا تسألوني إسألوه - حلوين - و غيرها الكثير.

انني ارى ان مائدة نزهت في هذه

الاغاني وغيرها ومقاماتها ايضاً بعدئذ، تبدو وكأنها وصلت فعلاً الى النقطة التي امتزجت فيها مع المجتمع وجمهورها المتلقي باوسع معانيها واقواها ... انها ابنة هذا المجتمع وبالتالي فهي المعبرة عنه باخلاص وصدق ... واكثر من هذا فان الانعكاسات التعبيرية الادائية لدى مائدة نزهت ونوع صدقها في هذه التعابير التي عكست الخصوصية البغدادية خاصة والعراقية عامة ، لايسعنا الا ان نجدها سابقه لاوانها الى حد مذهل اذا ما اخذنا بالاعتبار موقفها الاخلاقي من انتمائها لعراقيتها وبغداديتها واخيراً محليتها البيئية ... واذا تنحينا جانباً عن هذه الحقائق التي تبين لنا السيدة مائدة نزهت أنها شاهدة لواقعها وبيئتها وخصوصيتها العراقية على نحو لايعترف بها دوماً ... فاننا نجد نزعتها التعبيرية هذه في ادائها للاغنية الحديثه كانت قبل كل شيء موقفاً اخلاقياً مهذباً فقد كانت تصر على اقصى درجة ممكنه من عكس الثقافة العراقية وشموخ الفن الغناسيقي العراقي ... والحق يقال ، ان هذه النظرة الاخلاقية تكاد ان تكون عامة لدى مطرباتنا ومطربينا في طبيعتهم ... فقد كانت مائدة نزهت قد استوعبت كل ما يمكن ان تقدمه ثقافات عديدة تأثرت بها خلال سفراتها الكثيرة في اكبر واعلى درجات استجابتها للتجربة ، فقد وازنت بين احساساتها المحلية بتجارب واحاسيس تجربتها الدولية واطلاعها على تعابير ادائية مختلفة من بيئات متعددة ... وهي بنفس الوقت اخلاقية ايضاً ، ومن خلال هذا التوازن في استقلال التجربة ، فقد اصبحت مائدة نزهت اكثر قدرة على بحث المشكلات الاجتماعية من الناحية الجمالية والذوقية ... وهكذا فان هذا المغزى لهذا الوعي وهذا الادراك الاخلاقي لدى مائدة نزهت قد التحم التحاماً شديداً بالعنصر الجمالي وذات علاقة مباشرة بسلامة البصيرة وليس بالاصل الاجتماعي وفخامته ...

ان فكر ورؤية الفنان الناضجة تجعل من اعماله ونتاجاته الفنية ، انعكاس لثقافته وعمق لهذه الصفات ... اذ لايعقل ان نجد عملاً فنياً جيداً وهو ناتج عن فكر سطحي ومتواضع ..!!

ان هذه المقدمة الاستطرادية يكفي لهدف موضوعنا في الكتابه عن السيدة مائدة نزهت كمطربة وفنانه كبيرة ... انها مطربة اغنية حديثة قبل كل شيء ، ونحن الان ليس بصدد الكتابه عن كل سيرتها الفنية ، بل ان تجربتها في غناء المقام العراقي هو ما يهمنا الان حيث ما ان حل العقد السبعيني في القرن العشرين ، حتى قدر لمجموعة من الفنانين المختارين من قبل الفنان الراحل منير بشير ان يكوّن منهم فرقة غناسيقية تراثية (فرقة التراث الموسيقي العراقي) التي تضمنت الوان من الغناء التراثي العراقي والالات الايقاعية والآت الموسيقى الشعبية والات العود والقانون والناي والجوزة والسنطور ... فكانت السيدة مائدة نزهت من بين هذه المجموعة من الفنانين ، حيث اختصت في البداية على غناء المواويل والليالي بالاسلوب العربي ترافقها الفرقة الموسيقية المكونة الاتها من العود والناي والقانون اضافة الى الايقاع ... وكان لمصادفة وجودنا معاً في هذه الفرقة اثر توضح بمرور الزمن ومن خلال دوامنا اليومي والتمارين المستمرة لاعضاء الفرقة لكثرة نشاطاتنا داخل العراق وخارجه ، استطعت ان افيدها واعلمها الاصول المقامية للمقامات التي ادتها بعدئذ مثل مقام الاورفة ومقام الحويزاوي ومقام الكرد ومقام القطر و مقام الحكيمي والشعر مع الابوذية ومقام الشرقي رست وغيرها ... وفي هذه الحالة يمكن اعتبار السيدة مائدة نزهت اول المؤديات المقاميات اللاتي ادين المقامات العراقية بدقة اصولها كاملة وهي مسجلة في اذاعة وتلفزيون العراق اضافة الى انها قد ادتها في الكثير من المهرجانات والمشاركات الخارجية ، ويمكنني هنا ان اجزم القول بأن تجربتها في غناء المقامات كانت ناجحة جداً ويرجع بعض اسباب هذا النجاح الى كونها تتمتع بقدر كبير من التجربة الغنائية ، وعندما اقتنعت السيدة مائدة نزهت بخوض هذه التجربة المقامية الجديدة ، اصبحت قادرة على ان تقدم لجمهورها الذي عودته على نجاحاتها الغنائية منذ بداية الخمسينيات دون أي تراجع حتى الان او بالاحرى حتى اعتزالها الفن نهائياً ، التي وسعت نطاق الغناء التراثي بجانب تأريخها الفني العريق في الاغنية الحديثة ، مما حتم عليها في هذه المصادفة ان تغتنم كل الفرص المتاحة لتعلم المزيد من المقامات التي استطعت فيها ان اجعل من السيدة مائدة نزهت مؤدية مقامية تهتم بالشكل المقامي واسسه العريقة ومضامينه التعبيرية بروح جميلة وجديدة بكل تأكيد ، اضفت عليها السيدة مائدة نزهت الكثير من عندياتها التجريبية والعقلية ... فكانت هذه التجربة المقامية الناجحة اشبه بالبرهان القاطع على صلابة وعمق تجربتها الغنائية وفنها الراقي الرصين ... وبذلك نستطيع ان نؤشر على ان انتصاف العقد السبعيني يمثل المنعطف الجديد في مسيرة السيدة مائدة نزهت الفنية في كل ما انجزته قبل هذا العقد وخلاله وما بعده ، اذ خاضت تجربتها الجريئة بحفظ وغناء المقام العراقي التي انطلقت بها بثقتها العالية بامكانياتها الفنية الذاتية ، نعم فقد كانت فرقة التراث الموسيقي العراقي سبباً مباشراً لخوض هذه التجربة التي اتيحت لكلينا من خلالها ان نجوب العالم مشاركين في المهرجانات الفنية الدولية حاملين تراثنا الغناسيقي على اعناقنا الى العالم ممثلين بلدنا الغالي ، وكما قلت ادت الفنانة مائدة نزهت العديد من هذه المقامات ضمن حفلات الفرقة سواء في العراق كإذاعة وتلفزيون و مهرجانات داخلية وخارجية و في شركات التسجيل الاجنبية ،وقد كانت تبدو في أدائها لهذه النخبة من المقامات والتي اخترتها لها لحفظها وكأنها شهادة تطور امكاناتها الادائية يوم إثر يوم ، وعلى قوة ثقتها بفنها ورغم ان ادائها للمقامات كان بمستوى جيد جداً في جميعها ، بيد اننا نستطيع ان نحدد مقام الحويزاوي كأفضل المقامات التي ادتها ليس بسبب دقة أدائه فحسب ، بل كونه مقام حويزاوي جديد بمعنى الكلمة ، نقول جديد لأن معظم او كل المؤدين المعاصرين لها تأثروا بمقام الحويزاوي الذي اداه المطرب الكبير محمد القبانجي ومن ثم قام الجميع بتأديته نصاً، كلاماً ولحناً ، وذلك بالقصيدة الشهيرة التي مطلعها :-

لما أناخوا قبيل الصبح يمسهم
وحملوها وسارت بالهوى الأبل

في حين ان الفنانة مائدة نزهت اختارت قصيدة مغايرة للشاعر المخضرم حافظ جميل وغنته بأجمل ما يمكن ان يكون.

ومن جوى ألم في النفس تخفيه
وا عظم بلواك من هم تعانيه
عن لاعج في سواد الليل تذكيه
لله آهتك الحرى اذا انبعثت
مشوبُ نار على الاكباد تلقيه
في كل زفرة حزن منك تبعثها
حتى م تقرع حزناً في دياجيه
يا راهباً و ظلام الليل معبده
آلامه فيك او ابقت مآسيه
وهل سألت دفين الوجد لا تركت
هل انت من ألم المكبوت ناسيه
يا قلب هْبكَ نسيت الجرح ملتئماً

وعلينا ان نلاحظ عند سماعنا لهذا المقام مدى الاختلافات الادائية والتعبيرية بين الادائين ، يضاف إليهما مقام حويزاوي آخر لفنان القرن العشرين ، ناظم الغزالي، الذي أدى هذا المقام بشعر جديد وأداء جديد ، سبق ان أشرنا اليه.

هذا، و قد سبق ان تحدثنا عن هذا الموضوع بشيء من التفصيل في كتاب سابق، وبذلك فإن الفنانة مائدة نزهت تكون قد عبرت في هذه المقامات بإسلوب أدائي مغاير لجميع المؤديات والمؤدين المعاصرين لها ، واستطاعت ان توصل صوتها في هذه المقامات الى العالم اجمع، فكانت مقامات زاخرة بالحيوية الدرامية والتعابير الجذابة التي تذكرنا دائماً وفي مناسبات عديدة بالمعنى الفني والجمالي والتقني لمقاييس الاداء الدقيق التي اسبغت عليه تفسيراً اقرب الى العبقرية في التعبير والجمال والذوق وسحر الخيال العاطفي .

ويمكن ان نلمس اثر زوجها الفنان والملحن الكبير وديع خوندة حقاً، في تفاعل وجهات نظره وملاحظاته الفنية والنقدية مع امكانيات زوجته مائدة نزهت عند ادائها للمقامات ووجهات نظرها التجريبية في الاداء والتعبير ...

ان السيدة مائدة نزهت كان يمكن لها بكل تأكيد ان تزيد من ابداعاتها الادائية و ان تستمر في رفد تجديداتها التعبيرية والجمالية عند ادائها للمقامات فيما لو استمرت بالغناء دون ان تقرر الاعتزال فجأة في النصف الثاني من عقد الثمانينات وبقيت على قرارها ، وقد تأكدت من ذلك بعد ان كلمتها بالهاتف ، فوجدت ان لافكرة لديها في التراجع عن قرارها ابداً.

مجلة الف باء 1989

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2424)
السنة التاسعة
الخميس (15)
اذار 2012

مائدة نزهت... سيرة فنية حافلة

سعاد الهرمزي
ناقد فني راحل

مائدة نزهت.. اللحن العراقي الجميل عندما نكتب عن المطربة مائدة نزهت فهذا يعني إننا نكتب عن الفن النسوي الغنائي في العراق ، وإذا عددنا أسماء الرواد العظام فإن إسمها يرد في أحاسيسنا، وإذهاننا ومشاعرنا. يذكرنا صوتها بأيام الخمسينيات الى نهاية الثمانينيات من القرن الماضي. فهو الصوت المتميز مابين الأصوات العراقية . ولدت مائدة جاسم محمد عزاوي في بغداد – الكرخ عام ١٩٣٧ وهي واحدة من اربعة بنات وولد واحد لأمهم وأبيهم وهم (حسنية، بدرية، سامية، مائدة ، خلف) . وكان والدها جاسم ضابطاً في الجيش العراقي ينتقل مع عائلته حسب مكان عمله من منطقة الى أخرى في بغداد. حفظت الأجزاء الأولى من القرآن الكريم عند الملاية (الكتاتيب) وهي لما تزل طفلة صغيرة، ثم دخلت مدرسة الرصافة الإبتدائية، وشاركت لأول مرة في الأناشيد المدرسية ، كان ذلك بداية اربعينيات القرن الماضي، وبسبب القيود الإجتماعية الصارمة حينذاك فلم يكن لها بد لممارسة هواياتها في الغناء ،لكن المتنفس الوحيد الذي في متناولها لإظهار حلاوة وعذوبة صوتها هو المناسبات الدينية والقبولات النسائية التي كانت تشارك فيها مع نساء منطقتها، وبسبب النظرة المنحطة المتخلفة للفن في ذلك الوقت ، فإنها لم تستطع دراسة الفن والموسيقى .

أظهرت إبداعاً مبكرا في أداء أغاني فريد الأطرش وأم كلثوم وأسمهان وفتحية أحمد وليلى مراد . عندما طلبت الأذاعة العراقية أصواتاً غنائية في مطلع الخمسينيات تقدمت مائدة الى الأختبار أمام لجنة من كبار المختصين بالغناء و المقام العراقي بتشجيع من منير بشير وخزعل مهدي . غنت للفنانة سليمة مراد وزكية جورج فنجحت بإقتدار ، وأصبحت مطربة في الإذاعة .

أول من لحن لها هو الملحن ناظم نعيم أغنية تقول كلماتها

(الروح محتارة والدمع يتجارة،
والكلب عل محبوب ما تنطفي ناره.
لاجفن عيني غفه ولا لهب كلبي إنطفه ،
والواشي بيه إشتفه مني إخذ ثاره،
والكلب عل المحبوب ما تنطفي ناره)

لكن هذه الأغنية لم تنل حظها من الإنتشار ولم تثر إنتباه الجمهور الى هذا الصوت الجميل إذ كانت تجربتها الأولى ، لكن أغنية (أصيحن آه التوبة) التي لحنها أحمد الخليل رفعتها الى مصاف المطربات. في الإذاعة تعرفت على شاعري الأغنية سيف الدين ولائي ،وجودت التميمي، وقد شجع هذا النجاح أحمد الخليل فلحن لها (يلي تريدون الهوى، فد يوم أتمنى، كلب اليهواك،كالو حلو، همي وهم غيري، البصرة التي كتبت كلماتها فتاة دجلة..) لمع نجم الفنانةمائدة فتقاطر عليها الملحنون وكتاب الأغاني لما تملكه من صوت رائع ومساحة واسعة، فالى جانب الملحنين المذكورين لحن لها علاء كامل ، رضا علي (حمد يحمود) ، عباس جميل (كلما امر على الدرب، ياكاتم الأسرار) ، خزعل مهدي، محمد نوشي وسمير بغدادي (أم الفستان الأحمر) ، أما أهم الشعراء الذين كتبوا كلمات أغانيها فهم شاكر حسن ، نعمت العبيدي ، هلال عاصم(دور بينا)وزهير الدجيلي (سنبل الديرة) لحنها ياسين الراوي ،ومحمد حسن الكرخي (كتب لها حرام) لحنها رضا علي ، وسألت عنك لفاروق هلال كما غنت (جاني من حسن مكتوب) في فلم الدكتور حسن .

وعندما فتحت أبواب التلفزيون العراقي عام ١٩٥٦ وهو أول محطة تلفزيون عربية ،كانت مائدة نزهت من أوائل المتقدمين للغناء والظهور من على شاشة التلفزيون . وبعد هذا النجاح الباهرإبتعدت مائدة عن الإذاعة في الفترة (١٩٥٥-١٩٥٧) بسبب مشاكل إدارية، لكن عادت بعد توسلات أحمد الخليل ووديع خندة (سمير بغدادي) الذي تزوجها لاحقاً بتاريخ ٨-٣-١٩٥٨. مع عودة مائدة الى الإذاعة بدأت مرحلة جديدة وجدية في هندسة مسيرتها الفنية ، إذ بدأ نشاطها الفني يستقر بصورة تدريجية وجدية في هندسة مسيرتها الفنية على نتاج أفضل وأكثر إتزاناً وأحسن تهذيبا وأكثردقة وإنتظاما بفضل تعاون زوجها معها لحن لها وديع خندة (نسمات بلادي، عطر الفجر) ثم سافرا سوية الى الإتحاد السوفيتي، فالتقيا بكبار الفنانين الروس، وقاموا بتوزيع جديد للأغاني، وقامت هي بتسجيل بعض من اغانيها على إسطوانات.

غنت على أنغام عود منير بشير أغنية (ينبعة الريحان)وهي من التراث العراقي القديم ثم لحن لها طالب القرةغولي وغيرة من عمالقة الملحنين (بيا عين جيتو تشوفوني، شلون شلون، إنت إنت ، قدك المياس،تجونة لو نجيكم، يم الفستان الأحمر شبيدي على اليحجون، أحبك لا ، حاصودة ، ياري، يا حافر البير) ، ومن أشهر الأغاني التي لحنها كوكب حمزة هي (همه ثلاثة للمدارس يروحون) من إيقاع الهيوة. كما غنت (إسألوه لا تسألوني إسألوه، مزعلت منه علي زعلوه) التي لحنها رضا علي ويبدو إنها كانت رسالة عتاب لزوجها .

ولحن لها علاء كامل (دور بينا يا عشك)من كلمات هلال عاصم ، وغير ذلك كثير ومن الألحان الكويتية غنت(كفاية ما وصل منك) كما غنت مربع أحباب كلبي، وأبوذيات وعتابات وسويحليات، وبستات مثل يابو عباية جاسبي، بمحاسنك وبهاك، وكتب لها الشاعر حسين علي (دجلة وفرات)، إن زواجها من وديع خندة (سمير بغدادي)مهد لها السبيل للتقدم والتطور معافغاشا ثنائياَمتكاملاً ، وأنجبا وتفرغا للحياة. ترعرعت مائدة في بيئة فنية ،لها صوت متميز عريض عرفت به منذ الطفولة. غنت في أشهر الملاهي والنوادي الليلية (ضمن ذلك الإذاعة العراقية١٩٥٢)، وعرفت أيضاً بمطاولتها وإجادتها للغناء الريفي ، فغنت الهجع وهو وزن ريفي راقص تشتهر به المطربات الغجريات .

سجل التلفزيون الكثير من أغانيها وذلك بعد إستيراد أجهزة التسجيل. إن صوت مائدة نزهت نقل الأغنية العراقية من التقليد الى التجديد وفكان صوتاً يتوقد عاطفة وإحساساً، زاخر بالحيوية، كما أنها كانت تختار نصوص أغانيها، فهي تصر على الخصوصية العراقية .

شاركت في العديد من الحفلات في الكويت ،وسجل لها التلفزيون الكويتي عدة اغاني ولقاءات فنية. كما تعاونت مع عدد من أشهر الملحنين على الساحة الغنائية. ولعل أشهر أغنية قدمتها هي أغنية (داير مدارج بحر) تغنت فيها لجزيرة فليكا ، وغنت لبعض الأصوات العربية (ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد، لقد زادني مسراك وجد على وجد) وهي من كلمات عبد الله ابن الدمينة، والحان أحمد الزنجباري.

أحدثت مائدة إنعطافاَجديداً ومهماً في مسيرة لأغنية العراقية حيث نقلتها من عالمها الحزين الى مزاج الحداثة، فأحدث إنقلاباً وتبدلاً في طبقة الفن العراقي .

إن السامع يحس في صوت مائدة نزهة نبرة بالغة الرقي والتهذيب والدقة ،نابعة من إنوثة الصوت الطاغية والحنان الشفاف في طاقة هذا الصوت ،بقوة وزخم متميز ، فلم يبق صوتها حكر على الحان زوجها وديع خندة .

تتميز فنانتنا بالدقة والحرص على

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2424)
السنة التاسعة
الخميس (15)
اذار 2012

مائدة نزهت في لقاء لم ينشر منذ 35 عاماً

كمال لطيف سالم

فنها حتى إنه بدى غريباًعلى من زاملها ، فهي دؤوبة على الحضور والإلتزام بمواعيد التمارين اليومية ضمن الدوام المستمر في فرقة التراث الموسيقي العراقي التي أسسها منير بشير أوائل السبعينات من القرن الماضي . وكانت مدركة لأهمية هذه التمارين نظراً لخبرتها الطويلة في الغناء. عبرت في غناءها عن روح المدينة، فهي حلقة حية في سلسلة الغناء البغدادي فكانت تصر على تعابيرها البغدادية، فقد قدم لها الملحن طالب القرةغولي (لايا هوى) وأغنية (جذاب) فغنتها (كذاب) وكانت مصرة على ذلك رغم إعتراض الشاعر والملحن، فغناها الملحن على عوده المنفرد وأبدع في ذلك أيما إبداع . ولقدكانت حريصة على الأغنية الحديثة المعبرة وعلى الجانب الفكري والحضاري للأغنية الحديثة والإعتبارات البنائية المتماسكة في كل الحان اغانيها التي إعتمدت، فيها على كثير من الملحنين ، فأدتها بإتقان زاخر بالفن، فهي مطربة الأغنية العراقية الحديثة. في فرقة التراث الموسيقي العراقي كان العود والناي والقانون والإيقاع هي الات الفرقة ، وكانت مائدة نزهت قد أدت المقامات العراقية بصوت وأداء رائع بعد أن أشرف على تدريبها مطرب المقامات العراقي حسين الأعظمي، وبذلك فهي أول المؤديات اللواتي أدين المقام بأصوله، وبدقة كاملة وبعراقته ومضامينه التعبيرية، فحملت التراث العراقي الرائع تجوب به العالم مشاركة في المهرجانات الفنية الدولية ، وبنجاح منقطع النظير .

نجحت الى أبعد حدود النجاح بأدائها. وقد غنت مقام الحويزاوي باسلوب مغاير لما إشتهر به محمد القبانجي حين غنى (لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم وحملوها وسارت بالهوى الإبل ، ياحادي العيس عرج كي أودعهم ، ياحادي العيس في ترحالك الأجل) لكن مائدة نزهت غنته بقصيدة حافظ جميل وباسلوب متميز. (ومن جوى ألم في النفس نخفيه.. وأعظم بلواك من هم تعانيه). غنت الحويزاوي بدقة وحسب الأصول التقليدية للمسارات اللحنية التراثية، لكن المطرب يوسف عمر لم يكن مقتنعاً بالأداء النسائي للمقام، فهو يعتبره غناءَ ذكورياً على الرغم من أن أداء مائدة كان باسلوب وتعبير عصريين ساعدها في ذلك تجربتها العميقة في الغناء عامة ، بالإضافة الى تعلمها غناءالمقامات الفرعية التي مكنتها من تادية أروع وأصعب المقامات باسلوب علمي. غنت مقام حكيمي بأداء رائع، و للشاعر عبد المجيد الملا غنت الحويزاوي وكالتالي :-

يامن هواه أعزه وأذلني
كيف الوصول الى وصالك دلني
واصلتني حتى ملكت حشاشتي
ورجعت من بعد الوصال هجرتني
الهجرمن بعد الوصال خطيئة
ياليت قبل الوصول قد أعلمتني

غنت مائدة نزهت للزعيم الخالد عبد الكريم قاسم بمناسبة سلامته من الإعتداء عليه ومحاولة إغتياله في منطقة رأس القرية بشارع الرشيد، اغنية (الحمدلله عل سلامة..قائدنه ترف اعلامه..اقوى من رصاص العدوان..خاب الظالم واحلامه) .

إن قدرة مائدة العالية على تأدية مختلف الألحان وبضمنها المقامات جعلها في مصاف المطربين والفنانين الرائعين الكبار، وكان يمكنها أن تضاعف من إبداعها لو إستمرت في الغناء، لكنها فجأة قررت إعتزال الغناء في النصف الثاني من ثمانينات القرن الماضي وبدون تراجع، وبذلك فقد الوسط الفني صوتاً قديراً جميلاً حمل التراث الغنائي سواء في العراق او خارجه، إذاعة وتلفزيونا ومهرجانات.. ولأنها حفظت القرآن، وهي طفلة صغيرة، فقد إنصرفت الى العبادة ثم حجت وكرست باقي حياتها للعبادة والتقوى. حاولت سحب تسجيلاتها من الإذاعة والتلفزيون لكن محاولاتها باءت بالفشل والرفض. سافرت الى عمان مع إبنتها رولا .

بكائية: مطلع القرن الحلي نظمت احدى محطات الاذاعة في العراق إستفتاءاً لترشيح اجمل صوت غنائي نسائي عراقي خلال القرن الماضي ، توقعنا أن مائدة نزهت ستستحوذ على أصوات المستفتين.لكن النتيجة كانت مخيبة للآمال، فلم ينصفها المشاركون ولا غرابة، لأن هؤلاء لم يكونوا يعرفوا الجواهري ولا مصطفى جواد وجواد سليم او فائق حسن ولا غائب طعمة فرمان ولا بقية رموز العراق، فقد عاشوا سنين سوداء وفقدوا خلالها حرية التفكير وممارسة الثقافة والمعرفة.

عن كتاب لمحات غنائية صدر عام 1995

في فرقة التراث الموسيقي العراقي كان العود والناي والقانون والإيقاع هي الات الفرقة ، وكانت مائدة نزهت قد أدت المقامات العراقية بصوت وأداء رائع بعد أن أشرف على تدريبها مطرب المقامات العراقي حسين الأعظمي، وبذلك فهي أول المؤديات اللواتي أدين المقام بأصوله، وبدقة كاملة وبعراقته ومضامينه التعبيرية، فحملت التراث العراقي الرائع تجوب به العالم مشاركة في المهرجانات الفنية الدولية ، وبنجاح منقطع النظير .

كان الزمن عام ١٩٧٧ وعلى قاعة المسرح الوطني تمكنت من الصعود من خلف الكواليس والتقاء الفنانة الكبيرة مائدة نزهت. كانت تجلس على الكرسي بانتظار تقديم وصلتها الغنائية، على خشبة المسرح وصفق لها الجمهور بحرارة فبدأت بتحرير بعض المقامات ثم صدحت بعد ذلك بأغانيها القديمة.

كان الوقت يمر سريعاً لانني كنت في نشوة الطرب. التفتت الي بعد ذلك قائلة:

×ماذا تريد ان اقول؟

-أنت مطربة كبيرة ولابد ان لك حكاية مع الفن

سحبت نفسا عميقاً وقالت: انه طريق قطعناه بالاشواك والعذابات فأنه أمر فيه مرارة الا تتفق معي:

هززت رأسي وقلت مشجعا اياها:

. الفنان لاتصنعه الا العذابات وهي تجربة مربها كبار الفنانين؟

هنا استعادت بعضاً من غصة الالم وقالت: .كل فنان وكل فتى يحب سماع الغناء وتقليده، وهكذا كان الامر معي اسمع اغاني ام كلثوم ،اسمهان، فتحية احمد، كذلك كبار المطربين. وكنت اردد هذه الاغاني مع نفسي حتى وجدت انني قادرة على الغناء فأخذت اول الامر اشارك في المناسبات الدينية التي تقيمها النساء في المحلة فتحول ذلك الى النشاط المدرسي وهكذا عرفت بحسن صوتي واستمر الامر كذلك حتى بداية الخمسينيات عندما طلبت الاذاعة اصواتاً نسوية فوقفت امام لجنة الاختبار وكان بينهم كبار المختصين بالغناء والمقام العراقي فقدمت بعض الاغاني العراقية للفنانة سليمة مراد وزكية جورج وقد نجحت في الاختبار واصبحت مطربة في الاذاعة.

صمتت قليلاً لتحاول استرجاع ذاكرتها الفنية ثم قالت: في الاذاعة تعرفت على مشاهير المغنين والمغنيات وتعرفت على شعراء الاغنية امثال سيف الدين ولائي عبد الكريم العلاف ،جودت التميمي وعلى الملحنين امثال ناظم نعيم واحمد الخليل فقدمت في ذلك الوقت اغنية.توبه. التي اعجب بها الجمهور بعدها قدمت أغنية .حرام .كلمات محمد حسن الكرخي الحان الفنان رضا علي كما غنيت من كلمات خزعل مهدي اغنية .حمد ياحمود. الحان رضا علي ايضا كما كتب لي الشاعر سعدي وحيد ولحن لي محمد نوشي اغنية حبي وحبك من الحان الموسيقار جميل سليم وكلمات الشاعر حسن نعمة العبيدي غنيت .كلهم يكولون.

. عادت الى التأمل مرة اخرى ثم استطردت قائلة: .

× اذكر ان الشاعر هلال عاصم كتب لي كلمات اغنية (دور بينه يا عشك دويره) ولحنها المرحوم علاء كامل كما كتب لي الشاعر زهير الدجيلي اغنية (سنبل الديرة) الحان ياسين الراوي بعدها توالت الاغاني (كلما امر على الدرب (الاسمر) كما لحنت لحناً كويتياً للفنان محمد الكويتي بعنوان (كفاني ما وصل منك)

. لماذا كل هذا التنوع في الالوان الغنائية؟

× بعضها كنت اختارها وبعضها كنت اغنيها مجاملة فمثلاً غنيت مربع احباب كلبي. وبعض الابوذيات والعتابات والسويحليات. ولو عدت الى المكتبة لوجدت فيها كل شيء من الاغاني المختلفة.

. وماذا عن المقام العراقي وموقف المرأة منه؟

× في الاذاعة شاهدت رشيد القندرجي ومجيد رشيد ويوسف عمر وهؤلاء شجعوني على غناء بعض المقامات التي تلائم الطبقة النسوية ولكن الراحل يوسف عمر كان يصر على ان المرأة لايمكن ان تؤدي المقام وقد تحديته بحب عندما كنانغني من خلال رحلاتنا الى الخارج فغنيت امام الجمهور مقام القطر والحويزاوي والشرقي رست والبهزاوي والمحمودي وكان الجمهور يصفق لي بينما يوسف عمر يلتزم الصمت.

وماذا بعد التراث الغنائي !

البستة البغدادية كانت عنصراً اساسياً للمقام العراقي وقد اديت بعضها ان لم يكن اكثرها منها "يابو عباية الجاسبي" (بمحاسنك وبهاك) حتى اني اديت بعض الاغاني السياحية فقد كتب لي الشاعر حسين علي اغنية – دجلة والفرات– واغنية الليلة حنتهم–.

×وماذا عن الحان وديع خونده ورحلته معك؟

– كان يطلق عليه انذاك سمير بغدادي لقد تعاون معي هذا الفنان وقدم لي العديد من الالحان ابرزها (نسمات بلادي، عطر الفجر) وقد صادف ذلك الوقت افتتاح التلفزيون لاول مرة وكانت ثمارهذا التعاون ان تعاقدنا على الزواج وسافرنا الى الاتحاد السوفيتي وهناك قام بتوزيع جديد للاغنية من قبل كبار الموسيقيين الروس وقد سجلت في حينها على اسطوانة.

×وماذا بعد ذلك؟

– لقد اعطينا اكثر مما ينبغي ولم نترك لونا غنائيا الا واديناه وخضنا تجربة مع المقام العراقي وجبنا مع فرقة الفنون الشعبية عواصم العالم نقدم روائع الغناء والفن العراقي الاصيل الذي لا مثيل له في العالم وكان النجاح حليفنا اينما حللنا واعتقد انني وفيت بوعدي واعطيت ما عندي من غناء وسيبقى ارثاً للاجيال تدرسه وتغنيه واتمنى للعنصر النسوي ان لا يتخلى عن هذا الفن الجميل على الرغم المصاعب والمعوقات فكلها تهون امام عطاء الفنان الاصيل.

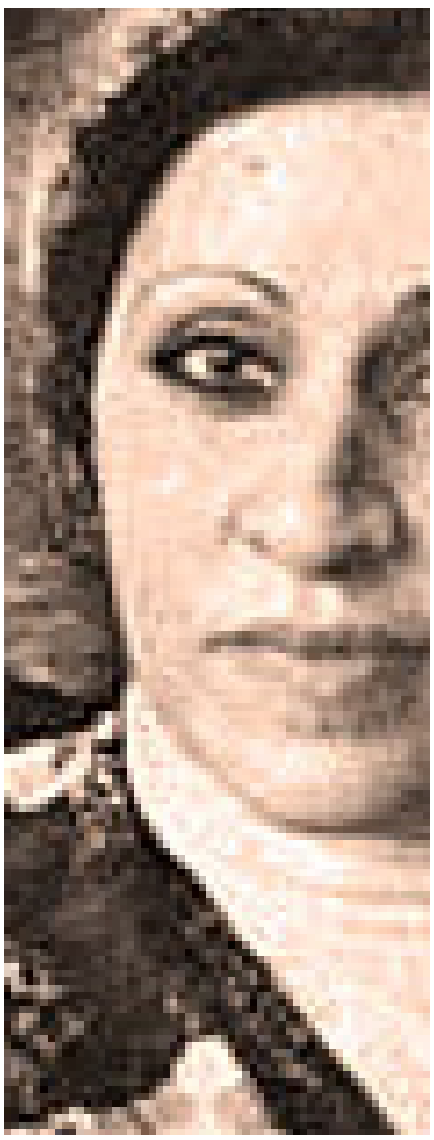

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2424)
السنة التاسعة
الخميس (15)
اذار 2012

مائـدة نزهـت .. مطربة الفـرح العراقي

تـرددت فعـلاً عندمـا اخـبرت بانـني سأجـري تحقيقـا صحفيـاً مـع الفنانة مائـدة نزهت. تـرددت لسببين لانني لم اقم بمهمة مشابهة في السابق وثانيهما لانـني قليـل الميـل الى الغنـاء الحديث خاصة الغناء العراقي منه..

ولذلك فقد اجري هذا المنلوج مع نفسي.. سأذهـب لانجاز هذا التحقيق كونه اول تحقيـق في حياتـي الصحفيـة وقلت ساعـدني يارب علـى ان لايكون الاخير ايضـا اما بالنسبـة الى السبـب الثاني فـاني اعـترف الآن بأنـني انحـاز ذات يـوم الى اغنية (ام زلـف) و(حاصودة) و(هيـوة) وغيرهـا لذلـك بأننـي انحاز احسست عبر استماعـي لهذه الاغنيات بسفر روحي وبابتهاج خاص.

قـت ايضـا: لتر ايهـا السيد (سـ) كيف تتعامل الفنانـة مائدة نزهت مع اغانيها وهكذا كان هذا التحقيق قالت مائدة :

– لقـد انتهـى عصـر البـكاء لابـد مـن الابتهاج في حياتنـا اليومية لماذا نغني بحـزن لماذا تعكس اغنياتنا هذا الجانب المظلم من عمرنا أليس هناك فرح ينبغي ان نغني لاجله؟

× ولكنني اعتقد وجود اشياء اخرى في اغنياتك الاخيرة كأغنية ام زلف بل اني احس بانهـا تمتلك مناخـا مطلقا سواء في الكلمـات او في طريقـة الاداء انهـا بحق دعوة الى الهيبة ماذا ترين .؟

–لا اعتقـد ذلـك جائـز انهـا احساساتك الشخصية فقط لم اقصـد طبعا التعبير عن هذه المعـاني ولكن قد تؤدي الاغنية نفسها الى هذه المعاني ..

كانـت الفنانـة مائدة نزهـت تبتسم عند كل اجابة وفي وجهها يستطيع الانسان تلمس البساطـة العراقيـة التواضـع العراقـي الهائـل، وبـين فـترة واخرى كانـت تردد عبـارة مغنية الحي لاتطرب بـألم كبـير ولم يكـن مـن الصعـب لي التعـرف على عوامل هذا الالم سواء في الاجـور او طريقة التعامل القديمة التي هي في طريق الفنـاء مع الفنانين بوجه عـام.. لقـد سافـرت مائـدة نزهـت الى بيروت وقضت فترات من عمرها الفني هناك وكانت في الاخير تعود الى بغداد الصعبة الفراق والصعبة النسيان وهي تأمل دومـا تأمل ما دامت في قلبها بذرة من الحياة

× ولكنـك تتحدثـين وبكراهيـة غريبـة بعـض الشـيء في الاغنيـة المتشائمـة لماذا؟

– نعـم لانها اغنيـة عقيمة تكرس الحزن والوضع السيئ للنفس ولانها لاتساعد الانسـان علـى النهوض في سقطاتـه اليوميـة بل انهـا تصنع مناخـات لهذه السقطات المكلمة .

× الاغنية المصرية الجديدة او بالاحرى موجة الاغـاني الجديـدة التـي تؤديها ليلى نظمي مثلا ايـن تضعيها في فهمك لمهمات الاغنية العربية الجديدة؟.

– اعتقـد أنهـا موجـة الهبـوط بالـذوق الفنـي الى مستوى الغرائـز والرغبات اليومية لدى الناس

× هنـاك اعتقـاد بأنهـا صرخـة الجنس في جيلنـا الذي شاء لـه الزمن ان يكون جيـلاً متوسطاً بين جيـل محافظ وجيل متجـاوز قادم ، مـن ناحية ومـن ناحية اخـرى فانها فعلا هبـوط بالذوق الفني الا تريـن معي القضيـة من هذه الزاوية ؟

– صحيـح انهـا صرخـة الجنـس في الجيـل الحاضر ولكنك تتفـق معي انها هبـوط بالذوق الفني لقـد كانت الاغنية واللحـن والموسيقـى توجـه الفنان الى فكـر النـاس وعقولهم امـا الان وبفضل هـذه الاغـاني من ليلـى نظمـي وعائدة الشاعـر وغيرهما فهـي توجه الى اقدام الناس .

كان هناك الفنان وديع خونده جالسا في زاوية بعيدة تقريباً يستمع الى حوارنا فضـل ان يشـترك معنـا بالابتسامـة والضحكـة العابرة والتعليـق الخفيف بينمـا جلـس ايـاد قريبـا منـي يراقـب حركة القلم ويبتسم بذكاء حاد لمفارقات الحديـث بينمـا كان خونـده يضيـف: زوجتي مائدة أحسن زوجة في العالم . بينمـا يضيف اياد بجـراءة لايتمتع بها أي طفل قائلا :

ان امـي احسن ام في العـالم. اما مائدة نزهت فقد كانت توجه حديثها الي قائلة : لتصدكهم عيني ترى هم يبالغون..

×أي اغنياتك اقرب الى نفسك ؟

– الجميع.

× بدرجة واحدة ؟.

– بدرجات.

– الدرجة الاولى أي اغنية

– لادري ربمـا لاني اتفاعـل مـع كل اغنياتي

× الحديثة ام القديمة ؟

– الحديثة اولا

×والقديمة ثانيا ؟

– لم تجـب بـل هـزت رأسهـا علامـة الايجـاب والابتسامـة الصغيـرة كأنها تقول اني احـب اغنياتي جميعها فلماذا تحرجني هكذا؟

× حسناً ايتهـا السيدة مائدة كيف ترين اغنيات الآخرين؟

– بصـورة عامـة جيـدة .. تصمت قليلا ثـم تضيـف قائلـة ان اغنيـات الشبـاب الجدد قد اضافت هما جديدا الى الاغنية العراقيـة وتطالبنـي الى الانتبـاه الى مـا تطورت اليـه هـذه الاغنية مـن قيم وجماليات لطيفة جديدة.

×ومن منهم تفضلين اغنياته؟

– كلهم تقريبا.

– تألمت لان مائدة تسقـط في شـرك الاجابات التقليدية التي يقع فيها معظم الفنانين العرب والعراقيين انها ان تنطق حكمـا واحدا برغم اهمية هـذا الحكم.. كنـت استعرض في رأسـي عشـرات الآراء المجاملـة التي تضج في الصحف والمجلات والتي هي مـع الاسف تمرير لمـا هو خاطـىء ورديء علـى حساب ما هو موجود من تطور اصيل .

× لنتحـدث اذن عـن حياتـك الفنيـة وتطورهـا هـل تستطيعـين تسميـة مراحلها؟

– ان عمـري الفنـي ١٦ عامـا تقريبـا كانـت المرحلـة الاولى هـي مرحلـة الغنـاء للاغـاني الشعبيـة البحتـة مثل اغنيـة تجونـا لو نجيكـم . امـا المرحلة الثانيـة فهـي مرحلـة الاغـاني الموزعة علـى الهارمـوني مثـل اغنيـة نسيات. والمرحلة الثالثة مرحلة القصائد المغناة آه يـا صبا نجد اما المرحلة الرابعة فهي مرحلة الاغاني الفلكلورية العراقية مثل اغنيـة جيمـالي والي واغنيـة ياحافـر البـير وهـا انـت الآن تتحـدث معي عن المرحلة الاخـيرة وليست الاخيرة وهي مرحلـة الاغنيـة الجديـدة مثـل الهيوة والحاصودة وغيرها ..

– وهنـا انتقلـت بالحديـث الى الوسط الفنـي الـذي تتحدث عنـه الفنانة مائدة نزهـت بالم واسف لذلـك لانها كما تقول وسـط حسـود تملكـه الغـيرة وانعدام الـود كمـا أنهـا تتحـدث بـالم اكـبر عن الاجور التي تصـل الى مبلغ كبير تدفع للفنانـة العربيـة مقابـل حفلـة واحـدة في بغـداد بينمـا تصـل الى ٣٠ دينـاراً بالنسبـة لها وهـي التي تبـذل دمها في مسار اللحن الذي تؤديه..

– وقبـل ان اغـادر الفنانـة مائدة نزهت كانـت هنـاك بعض الكلمـات في فمهـا بعض الكلمـات عـن قانـون التقاعـد للفنانـين وكلمـات اخـرى عـن الاساءة التـي توجه اليوم الى الفلكلور العراقي مـن قبـل فنانـين وفنانات عـرب بيد ان الوقت الذي مضى سريعا لم يكن يسمح بذلك

– لقـد شعـرت بانـني اجالـس اصدقاء وأحبـة لافنانـة كبـيرة واسرتهـا وكان علـي ان افكـر كثـيرا بهـذا التواضع .. تواضعنا نحن العراقيين!!

مجلة الاذاعة والتلفزيون العدد 43 عام 1971

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2424)
السنة التاسعة
الخميس (15)
اذار 2012

عندما غنت مائدة نزهت في الكويت

عبد المحسن الشمري

احتضنت الكويت منذ الستينيات عشرات الفنانين العراقيين ، وشارك العديد من هؤلاء في الحفلات الغنائية التي كانت تقام في المناسبات الوطنية الكويتية لاسيما العيد الوطني، ومن هؤلاء الراحل ناظم الغزالي، عفيفة اسكندر، مائدة نزهت، ياس خضر، سعدون جابر وعبدالجبار الدراجي وغيرهم.

ومائدة نزهت شاركت في العديد من الحفلات في الكويت وأيضا سجل لها التلفزيون وكذلك الإذاعة الكويتية عدة أغان وسجل لها لقاءات فنية، كما تعاونت مع عدد بارز من أشهر الملحنين على الساحة.

ولعل أشهر أغنية قدمتها مائدة نزهت هي الأغنية الوطنية «دار مدارج بحر»، إلى جانب غنائها لبعض الأصوات العربية لاسيما أنها تمتلك صوتا جميلا وسبق لها أن قدمت أصعب أنواع الغناء العراقي المتمثل بالمقامات.

دار مدارج بحر

أغنية «دار مدارج بحر» وهي من كلمات الشاعر الراحل بدر الجاسر العياف الذي رفد الأغنية الكويتية بعشرات الأعمال ما بين وطنية وعاطفية، وتعاون مع أكثر من فنان عربي،

وتقول كلمات «دار مدارج بحر»:

«دار مدارج بحر
فيلجا أحلى الجزر
متعة للناظرين
في روابيك الخضر
والله حلوة يا جزيرة
لو مسافاتك قصيرة
انت كالديرة الصغيرة
بين أحضان البحر
شفنا فيك كل السرور
وانشراحا للصدور
ما أحلى شدو الطيور
على أغصان الشجر»

ألا يا صبا نجد

تمتلك المطربة العراقية مائدة نزهت صوتا جميلا، وهي واحدة من القلائل من المطربات اللاتي قدمن المقام بإجادة تامة وتميز.

كما قدمت الصوت العربي، ولعل تقديمها صوت «الا يا صبا نجد» الذي يتهيب الكثير من المطربين من تقديمه دليلا على قدرتها الفائقة في تقديم أصعب انواع الغناء، وصوت «الا يا صبا نجد» قدمه عدد من مطربي الكويت والخليج لعل أبرزهم الفنان الكبير عوض دوخي، وهو من كلمات عبدالله بن الدمينة ولحنه الفنان أحمد الزنجباري، وتقول كلماته:

«ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادني مسراك وجدا على وجد
سقى الله نجدا والمقيم بأرضها
سحابا طوالا خاليات من الرعد
إذا هتفت ورقاء في رونق الضحى
على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ولم أكن
جلودا وأبديت الذي ما به أبدي
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار خير من البعد»

وتشير بعض المصادر الى أن القصيدة «الأغنية» هي لمجنون ليلى، وسبق لعدد من مطربي الخليج بألحان مختلفة ان قدموها مثل ضاحي بن وليد ومحمد السندي، وعبدالله فضالة ومحمود الكويتي، لكن الراحل أحمد الزنجباري طوّر اللحن.

وللفنانة مائدة نزهت العديد من الأغاني الكويتية من بينها أغنية «لا باس» التي لحنها الفنان عوض دوخي، كما غنت أيضا «اسألك بالله.. هل هذا صحيح ما حجو عنك وعني من كلام»، و«كفاني ما وصل منك» والعديد من الأعمال الأخرى.ولدت مائدة نزهت عام ١٩٣٧ في بغداد، ونشأت وتعلمت في مدارسها، فبعد أن ختمت القرآن، انتقلت إلى المدرسة الابتدائية حيث برزت مواهبها الغنائية منذ طفولتها، عندما كانت تحفظ وتردد أغنيات أم كلثوم وفريد الأطرش وأسمهان وليلى مراد.

وبعد أن أحست في نفسها أنها تملك المقدرة على أن تكون مغنية تقدمت لاختبار الإذاعة عام ١٩٥٠ ونجحت فيه، وغدت فيما بعد من أشهر مطرباتها.. وقد سجلت في تلك الفترة عدداً من الأغاني العراقية لحنها أحمد الخليل وناظم نعيم مثل أغنية «توبة» و«قالو حلو»، ثم لحن لها علاء كامل واحمد الخليل ورضا علي وعباس جميل وسمير بغدادي وعلاء كامل أغنيات كثيرة أعطت انطباعاً حسناً لدى المستمعين.

وعندما بدأ بث تلفزيون بغداد كانت من أوائل المطربات ممن ظهرن على شاشة التلفزيون عام ١٩٥٦ الذي يعتبر أقدم تلفزيون في العالم العربي.

غنت طويلا وسافرت واشتهرت، وعرفها الجمهور بصوتها العذب وخياراتها المتميزة كأغنية «للناصرية» و«توبة» و «قالو حلو كل الناس تهواه». كما كتب الشاعر زهير الدجيلي لها أغنية «سنبل الديرة» الحان ياسين الراوي.

ونجحت في تقديم المقام العراقي إلى جانب القصيدة والموشح الديني وألوان غنائية أخرى

عن جريدة القبس الكويتية

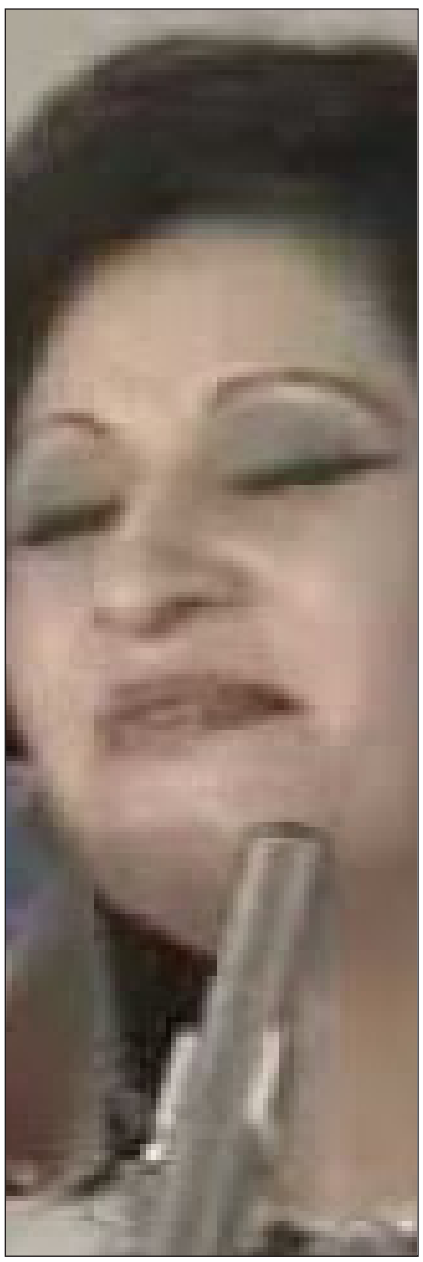
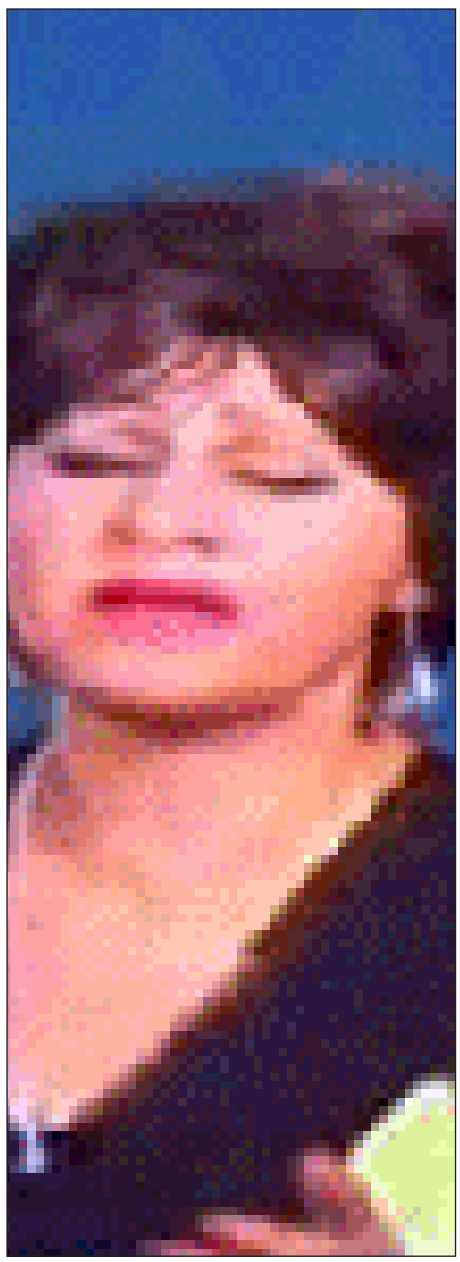

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2424)
السنة التاسعة
الخميس (15)
اذار 2012

عباس جميل: مائدة نزهت.. صوت غنائي نادر

(قمت بتلحين اول اغنية لمائدة نزهت قبل ان تغني للاذاعة هي (جاني من حسن مكتوب) ضمن فلم دكتور حسن ربما كانت طريقها للاذاعة، بعدها غنت من الحاني يا كاتم الاسرار)

اغنية البصرة التي كتبت كلماتها فتاة دجلة واغنية يللي تريدون الهوى التي كتبها اسماعيل الخطيب واغنية ياسمر التي كتب كلماتها الشاعر عبد المجيد الملا واغنية فد يوم كلمات طالب القيسي. واغنية كالو حلو التي كتبها ابراهيم احمد واغنية اسال كلب اليهواك لناصر التميمي.

تعتبر الالحان التي اعطاها الفنان وديع خوندة لمائدة نزهت قبل وبعد زواجه منها بقليل انعطاف جديد في مسار الاغنية الحديثة في بنائها اللحني من حيث تنوع الكوبليهات مع المذهب، وهو يبين لنا ايضا خلجات كتاب الاغاني هذه، وهكذا كانت مائدة نزهت سيدة الموقف في حصيلة النتائج التي استطاعت ان تعبر عن مشاعر الملحن والكاتب معا، وهكذا كان الاتفاق التعبيري لمجموعهم.. ومن هذه الاغاني مثلا اغنية يم الفستان الاحمر التي كتب كلماتها الشاعر عبد المجيد الملا واغنية – احبك لا – التي كتبها اسماعيل الخطيب واغنية تجونة لو نجيكم من كلمات رشيد حميد واغنية تاليها وياك التي كتبتها امل سامي واغنية نسمات رومبا وسامبا بغداد التي كتبها حسن نعمة العبيدي واغنية وينك التي كتبها وديع خوندة نفسه .

من الالحان الاولى لملحنين اخرين التي غنتها مائدة نزهت والتي ترتبط من الوهلة الاولى بتعابير حقبة التجربة مثل اغنية ياحلو ياصغير يامدلل التي كتب كلماتها خزعل مهدي واغنية ياهوانا التي كتبها غازي جميل واغنية يمسيرين البلم التي كتبها حسن ترجمان واغنية محتارين لداود القسام واغنية محبوبنا الغايب لجبوري النجار واغنية لاتبجين ياعين لعبد الستار القباني التي لحنها جميعا ناظم نعيم واغاني اخرى مثل اغنية يكولولي توب واني شلون اتوب لمحمد حسن الكرخي واغنية يم العباية الجاسبي لعبود السوداني واغنية يابوية اشتريني لحميد النجار واغنية انتظار لعباس العزاوي التي لحنها جميعا رضا علي واغاني اخرى مثل اغنية خلهم يكولون لهلال عاصم التي لحنها علاء كامل واغنية يحليوة عجايب لنفس الكاتب والملحن. وأغنية – نعم هالي سمالي – التي كتبها جعفر الاديب ولحنها سعد شعبان واغنية على كيفك لوليد جعفر ولحن محمود الكويتي وغيرها من الاغاني الاولى في بداياتها التي عكست واقع الحقبة الزمنية من تطور موسيقانا والتجربة المستمرة في ذلك.

اغنية لو ما الهوى يا اهل الهوى التي كتبها سبتي طاهر ولحنها الملحن اللبناني عفيف رضوان. واغنية كاعد على دربكم التي كتبها حسين علي ولحنها الملحن اللبناني عفيف رضوان ايضا.

في خضم الاحداث والمشاكل التي كان يعج بها العراق اواخر العقد الخمسيني وبداية العقد الستيني وبسبب مضايقات معينة، سافرت مائدة نزهت مع زوجها وديع خوندة عام ١٩٦٢ الى بيروت،وفي هذه الفترة من اقامتهم في بيروت لحن لها زوجها اغنية يا خوية ويا احلى خي التي كتب كلماتها زين شعبي.

في هذه الاثناء وبعد تحسن وضعهما واستقرارهما، قاما بسفرة سياحية الى اوربا عادا بعدها الى ارض الوطن عام ١٩٦٣ ثم اضطرا للعودة الى بيروت ثانية وبقيا هناك، وفي عام ١٩٦٤ وبعد ذلك باشرا مرة اخرى نشاطهما الفني وقد ذهبا الى سوريا التي فتحت ابوابها لهما، ولكنهما بقيا في دوامة من الذهاب والاياب بين سوريا ولبنان، ونشاطهما الفني مستمر وقد ساعدهما الفنان الكبير الفلسطيني الاصل حليم الرومي حيث كان مسؤولا عن الموسيقى في الاذاعة اللبنانية، وقد لحن لها بعض الفنانين العرب منهم حسن غندور وعفيف رضوان وخالد ابو النصر وسعدون الراشد والكويتيان عوض دوخي وحميد الرجب بعد ان سافرت الى الكويت لفترة معينة.

في سوريا سجلت مائدة نزهت بعض الاغاني للاذاعة وكذلك شاركت في احتفالات الوحدة الثلاثية بين العراق ومصر وسوريا.. وكانت اغنية اسألوه لا تسالوني اسألوه من بين الاغاني التي شاعت واخذت شهرة واسعة وكذلك اغنية يا خوية ويا احلى خي.

في عام ١٩٦٨، عادا الى ارض الوطن، وحال عودتهما باشرا نشاطهما الفني فكانت اغاني عديدة مثل اغنية (قفوا هنا) التي كتبها عبد السلام ابراهيم ولحنها وديع خوندة واغنية (عراق التاميم) التي كتبها ناظم السماوي ولحنها ياسين الشيخلي[وقد لحن لها محمد سلمان اغنية (شمس بغداد) واغنية (حبيبتي بغداد) للشاعر شفيق الكمالي والحان وديع خوندة.

نستطيع ان نلاحظ تطور وتنوع اغانيها التي تلت البدايات الاولى مثل اغنية (ياقلبي لتكول التوبة) التي كتبها فوزي ابراهيم واغنية (مرحبا بالجاي لينا) – التي كتبها صباح سلمان واغنية (حبي وحبك)

التي كتبها سعدي معيد ولحنها جميعا محمد نوشي واغاني اخرى مثل اغنية (سالت عنك) التي كتبها عبد الكريم مكي واغنية وحدوية لداود الغنام واغنية سلام لغازي مجيد التي لحنها فاروق هلال كلها . واغنية (ورد الخدود) كتبها انيس ابي رافع واغنية(ياخية) التي كتبها ابو رياض، واغنية (من يدري) لعبد المجيد الملا، واغنية (حن) لامل سامي، وقصيدة (بان الاخلا) للشاعر جرير، واغنية (المكتوب) لعبد الله المعروف، وكلها من الحان وديع خوندة واغاني اخرى مثل اغنية (هذا آنة الوطن) لخالد الشعري ولحن عبد الحليم السيد، واغنية (ياشاغلني) للشاعر احمد رامي ولحن جميل بشير، اغنية (حب الناس) لمحمد عمران، ولحن عبد الفتاح حلمي، ومن الحان رضا علي، اغنية (حمد يا حمود) التي كتبها خزعل مهدي، واغنية اخرى لحنها محمد عبد المجيد وكتبها كريم العماري، (شوكنه) وكذلك اغنية (لا تعتذر) لخليل الخوري، ولحن سالم حسين، اغنية (حلم اخضر) لمحمد هاشم، ولحن عباس جميل واغاني اخرى ايضا من الحان ياسين الراوي مثل اغنية (يوم الفرح) لغازي جميل، واغنية (دور بينا يا عشك) لزهير الدجيلي، واغنية (رد الحبيب) لعلي الربيعي، واغنية اخرى (سنبل الديرة)، التي كتبها كريم العماري، واوبريت غنائي من الحان محمد جواد اموري، واغنية (نعم) لحن عبد الجبار الدراجي، واغنية (لا باس يا ترف) لعوض دوخي، واغنية (لا يا هوى) لكاظم عبد الجبار، ولحن طالب القرغولي، واغنية (حنان عيونك) لحامد العبيدي، ولحن جميل سليم، ومن الحان احمد الخليل، اغنية (هلها يومولي الهلا) لكاظم العبودي، واغنية (عالي الجبل) لعبد الجبار العاشور، واغنية اخرى وانا المحروم لطالب خضير، ولحن جمال جلال]، وقصيدة الفارابي الشوق والالم لحنها سالم حسين، واغنية (الحاصودة) لذياب كرار، لحنها كوكب حمزة، واغنية (نذر) لعلي الحلبي، ولحن عبد الحسين السماوي، واوبريت غنائي لناظم نعيم، اغنية باب دجلة لحسن نعمة العبيدي، لحن عبد الكريم بدر، واغنية (بشائر المنى) لصاحب خليل، ولحن كنعان وصفي، واغنية (تجونة لو نجيكم) لرشيد حميد ولحن خزعل فاضل، والحان كثيرة اخرى نرى فيها السيدة مائدة نزهت تكافح في سبيل نجاحات تلو نجاحات ومن اجل تحقيق ذاتها، فهي تريد ان تكون قريبة دائما من المجتمع، من الجمهور.. انه لشيء جميل ان نستمع الى اغنية تتضمن دلائل كثيرة من ترابط وتماسك ومحبة المجتمع، دون الحاجة الى مناقشتها وخير مثال لنا اغنيتها – تجونة لو نجيكم.

وفي اغنية (لا يا هوى) التي كتبها كاظم عبد الجبار ولحنها طالب القرغولي ، نلاحظ انتقالة واضحة في التعابير الادائية تطفح بالفرح والغزل وهي توحي فعلا بانتقالة لاغانيها من اجواء الستينات الى اجواء السبعينات.

مرة اخرى نستطيع ان نلاحظ في اغنية (حلوين) من كلمات غازي مجيد ولحن ياسين محمد الراوي، ذلك التغيير الذي يوحي بسرعة الحياة في العقد السبعيني التي بدت اكثر من السابق.. ذلك التغيير الذي يظهر علاقة مائدة نزهت بالجمهور.. نوع من العلاقات المحفزة للتطور والتفاعل الحقيقي.. وفيها نحس ان الامر هو في الاساس اكبر من نجاح اغنية.. وقد يكون لهذه العلاقة الضمنية بين الفنان والجمهور في طبيعة الارتقاء بالغناء العراقي عموما وبالنتيجة تكون النجاحات كبيرة.. فاغاني مائدة نزهت توحي لنا دائما بافكار وجماليات متفائلة مليئة بالحياة.. ان اغانيها بصورة عامة في العقد السبعيني انتقال من حالة الى اخرى، من ظروف الاجواء المضطربة في السياسة والاقتصاد والاجتماع الى ظروف اوحت منذ البداية باستقرار واضح في هذه النواحي، الى الرغبة والتخلص من ظروف الانفعال الدائم.. الى التخلص من كل ذلك..

من حواراجراه الصحفي فؤاد العبودي مع الفنان الراحل

بعد تحسن وضعهما واستقرارهما، قاما بسفرة سياحية الى اوربا عادا بعدها الى ارض الوطن عام 1963 ثم اضطرا للعودة الى بيروت ثانية وبقيا هناك، وفي عام 1964 وبعد ذلك باشرا مرة اخرى نشاطهما الفني وقد ذهبا الى سوريا التي فتحت ابوابها لهما، ولكنهما بقيا في دوامة من الذهاب والاياب بين سوريا ولبنان، ونشاطهما الفني مستمر وقد ساعدهما الفنان الكبير الفلسطيني الاصل حليم الرومي حيث كان مسؤولا عن الموسيقى في الاذاعة اللبنانية

بين مائدة نزهت ونرجس شوقي

يروي الشاعر اسماعيل الخطيب هذه الحكاية عن الفنانة مائدة نزهت .

من المصادفات الحلوة التي أدت الى ميلاد أغنية جديدة أن حدث ذات مرة وبعد مرور شهر تقريباً على بث أغنية مائدة نزهت الجديدة الأولى في حياتها الفنية من إذاعة بغداد التي كتبها ولحنها أحمد الخليل سنة ١٩٥٤ التي كان مطلعها (يللي تريدون الهوه صبروا على أحو) أن التقينا أثناء خروجنا أنا والفنان احمد الخليل من دار الإذاعة في الصالحية ببغداد. وفي الممر الأمامي لها التقينا بالفنانة المصرية المعروفة(نرجس شوقي) وهي داخلة الى الإذاعة لتقديم حفلتها الاسبوعية التي كانت تبث على الهواء مباشرة.

وبعد تبادل عبارات التحية المعتادة بيننا، قالت نرجس لأحمد ليش يا احمد إشبدلك .. ما كنت حلو معايا .. مين الست مائدة دي حتى تاخذك منا.. يظهر أن الوقت هذه الأيام للشابات الصغيرات وليس للعواجيز أمثالنا أنا وعفيفة .. فقال أحمد الخليل على الفور أستغفر الله يا ست مين اللي تقدر توصل مكانتك وفنك بالمناسبة أنا محضر لك أغنية جديدة حلوة كنت سأخبرك عنها ولكنك سبقتيني .

فارتاحت نرجس لهذه الإجابة وقالت ما دام كده.. أنا مستنياكم بكره .. بس أيه هو الكلام . فقال أحمد إسألي الأستاذ اسماعيل أهو أمامك يخبرك .. فقلت لها: سيعجبك إن شاء الله إطمئني وافترقنا..

وفي الطريق سألت أحمد عن الموضوع فقال ضاحكاً لم أجد طريقة أخرى للتخلص من الموقف غير هذه الكذبة فقلت له يا حلو كلي اشبدلك روحي أضحيها الك . فأمسك أحمد بيدي وقال فرحا هذه هي الأغنية وأخرج علبة سكائر وسجل هذا الكلام عليها وقال أريد منك بقية كلام الأغنية. ولما تلاقينا في اليوم التالي سلمتهُ الأغنية وكانت كما يلي:

يا حلو كلي اشبدلك .كلي دكلي؟
روحي أضحيها الك .كلي دكلي؟
كلما ردت.. كلما طلبت
ضحيته لأجلك بس إلك
يا حلو كلي اشبدلك .كلي دكلي؟

إلى آخر كلمات الاغنية التي لحنها أحمد الخليل خلال ذلك الاسبوع وكانت من مقام الاوشار وهو من المقامات القوية الفرحة وقد أبدعت نرجس في أدائها جداً وحققت الأغنية نجاحاً منقطع النظير وانتشرت في حينها بسرعة بحيث أصبح الناس يرددونها في أفراحهم ومناسباتهم سنوات عديدة حتى أن الفنان روحي الخماش رحمه الله سجلها مع فرقة معهد الفنون الجميلة التلفزيون بعد أكثر من خمس وعشرين سنة على أنها من الأغاني العراقية التراثية القديمة دون الإشارة الى مؤلفها اسماعيل ابراهيم الخطيب أو ملحنها المرحوم أحمد الخليل ..

مائدة نزهت والمقام العراقي

كان التقليد المهيب في الغناء المقامي يمنع ان يؤدى مقاماً معيناً الا وقد انطلق من التقليد التام .. واول واهم مراكز التقليد هي ان تكون القصيدة المغناة ذاتها التي سبق ان غناها احد المغنين المشاهير وفي نفس المقام المعين . فمقام الحويزاوي الذي غناه المغني التاريخي محمد القبنجي ، وبما لهذا المغني الكبير من سطوة هائلة على الجماهير فقد كان مقامه الحويزاوي له سطوه اخرى على مسامع واذواق المغنين والجماهير منذ ان سجله اذاعياً عام ١٩٥٦ واعاد غنائه عام ١٩٦٤ في مؤتمر ومهرجان الموسيقى العربية الثاني الذي انعقد في بغداد ، وهذه المرة سجل تلفزيونياً بحيث لم يجرأ اي من المغنين الاخرين ان يغنوا مقام الحويزاوي بعد هذا التاريخ الا بنفس القصيدة و نفس الاداء الذي اداه استاذنا محمد القبنجي ، والقصيدة مأخوذة من كتاب الف ليلة و ليلة. ففي هذا المقام كمقاماته الاخرى كان القبنجي كطائر تاريخي من العصور القديمة يبسط جناحيه الهائلين صوب المشرق و المغرب ، والكل تحت خيمته.. فمن يجرؤ على مجرد طرح رأي ولو كان بسيطاً ...

غنى القبنجي مقام الحويزاوي ، فغزى القلوب والافكار والهب المشاعر في قصيدة لو كان قائلها حي يرزق لقدم الولاء والشكر والعرفان لهذا الفنان لانه خلدها بالفعل ، اذ نفض غبار الزمن عنها واظهر بريقها الوهاج .

اما تجربة المطربة مائدة نزهت ، حيث غنت هي الاخرى مقام الحويزاوي باسلوب فني مغاير تماماً لاسلوب مطرب الاجيال محمد القبنجي و مغاير ايضاً لاسلوب فنان القرن العشرين ناظم الغزالي، ولم يكن ذلك لمرة واحدة بل كررت ذلك مرتين و بقصيدتين جديدتين مختلفتين ففي المرة الاولى غنت الفنانة مائدة نزهت مقام الحويزاوي بقصيدة عبد المجيد الملا

يا من هواه اعزه و أذلني كيف السبيل الى وصالك دلني

واصلتني حتى ملكت حشاشتيورجعت من بعد الوصال هجرتني

وفي المرة الثانية اثبتت الفنانة مائدة نزهت امكانياتها الابداعية وغنته بقصيدة الشاعر المخضرم حافظ جميل بأجمل ما يمكن ان يكون.

وا عظم بلواك من هم تعانيه ومن جوى ألم في النفس تخفيه

لله أهتك الحرى اذا انبعثت عن لاعج في سواد الليل تذكيه

مجلة فنون اذار 1981

مائدة نزهت صوت بغداد

ثامر العامري

استطاعت هذه المغنية اللامعه أن تكون محوراً لنشاط كل الملحنين في كامل اللحنية العراقيه، ومنذ عام ١٩٥٤ والى يومنا هذا لم تظهر مطربه عراقيه واحده نافست مائدة نزهت في قليل او كثير، ولعل صوتها هو الوحيد بين الاصوات العراقية الذي كان له هذا الحضور وهذا الأقتران بمعايير القيمة والانجاز، بل ان مائدة نزهت ارتبطت باغنى مرحلة من الغناء العراقي ونعني بها مرحلة – الاغنية البغدادية– فقد توهجت نبراتها الغنائية من تجسيد الكثير من الاعمال الفنية لاوسع دائرة من الملحنين .

ولدت الفنانة مائدة جاسم محمد عزاوي في الكرخ من بغداد عام ١٩٣٧.. وهي واحدة من اربع بنات وولد واحد.. لامهم وابيهم.. حسنية – بدرية – سامية – مائدة – وخلف.. كان والدها ضابطا في الجيش العراقي ..

وفي مقتبل عمرها حفظت الاجزاء الاولى من القرآن الكريم عند الملا في (الكتاتيب) ، ثم دخلت مدرسة الرصافة الابتدائية حيث شاركت لاول مرة في اداء الاناشيد المدرسية منتصف الاربعينات.. وبسبب القيود الاجتماعية الصارمة.. فقد كانت ترفه عن نفسها وتمارس هوايتها الادائية بمشاركتها الاداءات الدينية مع النساء من الاقارب والمعارف. وبسبب هذه القيود ايضا.. لم تستطع ان تدرس الموسيقى وفي عام ١٩٥٤ اعجب بها منير بشير وخزعل مهدي، فشجعاها على التقديم للاذاعة فخضعت للاختبار فنجحت نجاحا باهرا .

لحّن لها ناظم نعيم اول اغنية (الروح محتاره والدمع يجاره) التي كانت تجربتها الاولى ، فلم ينتبه اليها جمهور كاف .. ولكن تجربتها الاخرى مع الملحن احمد الخليل في اغنية (اصيحن آه والتوبة) تعتبر منعطفا جديدا لها رفعها الى مصاف المطربات المعروفات ، الامر الذي عمّق بداياتها ، فقد اشتهرت هذه الاغنية واشتهر معها الملحن احمد الخليل والمطربة الواعدة مائدة نزهت ايضا.

لفترة قصيرة ابتعدت فيها مائدة نزهت عن الاذاعة والوسط الفني برمته بسبب بعض المشاكل التي جابهتها من قبل بعض الفنيين والاداريين في اعتراضها لعدم اذاعة اغانيها وكان ذلك عام ١٩٥٥ وهي لم تزل في بداياتها.. واستمرت الحالة حتى عام ١٩٥٧ بعد ان عاد الفنان وديع خوندة من غربته وعمله في اذاعة الشرق الادنى الناطقة باللغة العربية في قبرص وبيروت، وهو الفنان الذي اصبح اول رئيس لقسم الموسيقى في الاذاعة عند تاسيسه منتصف الاربعينيات بجهود منه وقرار من مدير الاذاعة زمنذاك المرحوم حسين الرحال.. وعن طريق الملحن احمد الخليل تعرف على مائدة نزهت حيث ذهبا معا الى اهلها لاقناعها واقناعهم بالعودة الى الغناء بعد ان اقتنع الفنان وديع خوندة بصوتها فقد اسمعه احمد الخليل اغنية (اصيحن اه والتوبة) باستوديو الاذاعة.. وفي هذه الزيارة تمت تسوية الامر وعادت مائدة الى الوسط الفني والاذاعة لتواصل نشاطها الغنائي.. لتبدا مرحلة جديدة من مسيرتها الفنية .

وعن هذه الحقبة يقول الملحن المرحوم عباس جميل في لقاء له قمت بتلحين اول اغنية لمائدة نزهت قبل ان تغني للاذاعة هي (جاني من حسن مكتوب) ضمن فلم دكتور حسن ربما كانت طريقها للاذاعة ، بعدها غنت من الحاني يا كاتم الاسرارباستوديو الاذاعة ...

لقد جلب وديع خوندة معه الى بغداد عام ١٩٥٧ خبرة لرؤية فكريه وجمالية عاشها في قبرص مذيعا في اذاعة الشرق الادنى الناطقة بالعربية. وكان بفطرته ذا رؤية ثاقبة في كل موهبة فنية بما في ذلك موهبته.. فمضى يكتشف ما تنطوي عليه تلك الموهبة بالنسبة اليه في جد وانتظام.. وبدأ عطاؤه الجديد الى الاجيال الجديدة بالحانة وملاحظاته وادارته لقسم الموسيقى وفسح المجال للقابليات الموهوبة الاخرى لتبدو النتاجات واضحة..

اما الانسة مائدة نزهت وهي المطربة الجديدة فقد كان حظها اوفر من الجميع في مسيرتها الفنية حيث كان الثامن عشر من اذار عام ١٩٥٨ موعدا لزواجها بهذا الفنان الموهوب وديع خوندة بعد قصة حب جميلة، وبذلك بدات مائدة نزهت مرحلة جديدة وجدية في مسيرتها الفنية. ومن هذا التاريخ ايضا نلاحظ ان نشاط مائدة نزهت الفني قد بدا يستقر بصورة تدريجية. واصبح اقل من السابق، ولكنه اصبح نتاجا اكثر اتزانا ورصانة فحفلاتها الخاصة قد انعدمت او شبه ذلك ونشاطها الانتاجي امسى اكثر دقة وانتظاما.

تعتبر الالحان التي لحنها الفنان وديع خوندة لمائدة نزهت قبل وبعد زواجه منها بقليل انعطاف جديد في مسار الاغنية الحديثة في بنائها اللحني من حيث تنوع الكوبليهات مع المذهب، وهو يبين لنا ايضا خلجات كتّاب الاغاني هذه، وهكذا كانت مائدة نزهت سيدة الموقف في حصيلة النتائج التي استطاعت ان تعبر عن مشاعر الملحن والكاتب معا، وهكذا كان الاتفاق التعبيري لمجموعهم.. ومن هذه الاغاني مثلا اغنية يم الفستان الاحمر التي كتب كلماتها الشاعر عبد المجيد الملا واغنية – احبك لا – التي كتبها اسماعيل الخطيب واغنية تجونة لو نجيكم من كلمات رشيد حميد واغنية تاليها وياك التي كتبتها امل سامي واغنية نسمات رومبا وسامبا بغداد التي كتبها حسن نعمة العبيدي واغنية وينك التي كتبها وديع خوندة نفسه.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2424)
السنة التاسعة
الخميس (15)
اذار 2012

مائدة نزهت.. فنانة من زمن جميل

حسين الاعظمي
باحث وموسيقي

إذن حان وقت وصولنا في بحثنا هذا بالكتابة عن الفنانة الكبيرة مائدة نزهت، وهذا يعني إننا وصلنا في الكتابة الى قمة كبيرة في فن الغناء النسوي في المقام العراقي، وكما ترتبط اسماء قمم اخرى في الغناء العراقي عامة، في اذهاننا واحاسيسنا، باسماء فنانين اعلام مثل ناظم الغزالي ومحمد القبانجي، حضيري ابو عزيز، يوسف عمر، داخل حسن، ناصر حكيم، سعيد عكار، وولده جبار عكار... يرتبط اسم الفنانة مائدة نزهت بأذهاننا واحاسيسنا... ولا عجب من ذلك... فأن التنوع البيئي في العراق يزيد من غزارة غنائنا وموسيقانا في نبوغ تعابيرنا ورقيها وابداع في الشكل ورهافة في المضمون الغنائي وبحيوية ندر ان نجدها في بلد اخر.

لقد كان لتفاعل المطربات المقاميات في مقاماتهن واغانيهن مع فن غناء المقام العراقي.. ان خلفت المرأة لنا فناً وفكراً مقامياً عراقياً مثيراً.. وهو ما فتيء منذ زمن قارب المائة عام مرّت على التجربة النسوية فيه.. وليس من ضعف في شأن الغناء المقامي بصورة عامة، اننا نجهل عنه الكثير، ولكن لا يستقيم لنا عذر ان بقينا على هذا الجهل... لأن فنون الشعوب متقاربة او متفقة في منابعها وافاقها الاساسية... لكن تختلف في تعابيرها البيئية الخاصة، وفي الاجمال فان كل الفنون تنبع من ثقافة العقل والقلب، حيث يبقى التراث الفني يؤثر في وجدان الشعوب التي ينتمي إليها ذلك الفن..

لم تكن المهمة هينة ويسيرة للفنانة مائدة نزهت في تجربتها الغنائية المقامية التي بدأتها بوقت متأخر من مسيرتها الفنية واستمرت بها عشر سنوات تقريبا، وهي السنوات العشر الاخيرة في مسيرتها الفنية، حيث اعتزلت الفن تماما عند انتصاف العقد الثماني من القرن العشرين... وانهت مسيرتها الفنية بها.... قمتُ بتعليمها بعض المقامات التي وصل عددها حوالي عشرة، نتواجد يومياً ضمن الدوام اليومي في فرقة التراث الموسيقي العراقي كموظفين فيها، ونشارك ضمن هذه الفرقة الرسمية في ارقى المهرجانات في العالم وعلى ارقى المسارح العالمية... وقد سجلتْ مائدة نزهت هذه المقامات بصوتها في الاذاعة والتلفزيون في بغداد، وهي المطربة المتمكنة من فنها الادائي بصورة تلفت النظر اليها.. ان مسيرة السيدة مائدة نزهت الفنية.. مسيرة دائبة الصعود.. وهي سجل موثق لجهودها ومواهبها الفذة في الاداء الغنائي..

الفنانة الكبيرة مائدة نزهت

من ناحية اخرى، تعتبر الاغاني التي ادتها مائدة نزهت من افضل ما ادّيَ من غناء فني في (حقبة التجربة) التي كانت من نتائج التغيرات التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية في العراق. بل من افضل ما ادي في القرن العشرين في فن الاداء الغنائي. ومع ان مائدة كانت قريبة من جمهور الشباب... غير انها سرعان ما ثبّتت نفسها كفنانة في ذهن ومشاعر جمهور واسع على وجه العموم، خاصة من طبقة مثقفي المستقبل الذين لهم صلة قوية بجزئيات الاحداث اللاحقة في الداخل العراقي... فلم تكن الحرب العالمية نفسها السبب الوحيد الذي اثر في نتاجات حقبة التجربة... وانما تعدى ذلك الى ظروف العراق الوطنية والقومية التي مرت خلال النصف الاول من القرن العشرين ومنها اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨ من قبل اليهود الصهاينة... كل هذه الظروف ترسخت في ذهن ومشاعر جيل حقبة التجربة وهي الحقبة المحيطة بانتصاف القرن العشرين.

لقد كان هناك مطربون ومطربات اخريات ممن انتجوا اغان جميلة تعبر عن جماليات وفن هذه الحقبة مثل ناظم الغزالي وعفيفة اسكندر وسليمة مراد وصبيحة ابراهيم [١]ورضا علي واحمد الخليل ولميعة توفيق[٢] وفاروق هلال وزهور حسين وعباس جميل وغيرهم الكثير باغانيهم الجميلة وشهرة بعضهم الطاغية... وفي هذا الظرف الفني الذي يعج بالفنانين المشاهير، ظهرت مائدة نزهت فنانة واعدة تتحدى، بعد جيل النصف الاول من القرن العشرين حيث لم يظهر اسم استطاع ان يغطي رقعة تاريخية كبيرة من الغناء العراقي مثل مائدة نزهت،(لقد استطاعت هذه المغنية اللامعه أن تكون محوراً لنشاط كل الملحنين في كامل اللحنية العراقيه، ومنذ عام ١٩٥٤ والى يومنا هذا لم تظهر مطربه عراقيه واحده نافست مائدة نزهت في قليل او كثير، ولعل صوتها هو الوحيد بين الاصوات العراقية الذي كان له هذا الحضور وهذا الأقتران بمعايير القيمة والانجاز، بل ان مائدة نزهت ارتبطت باغنى مرحلة من الغناء العراقي ونعني بها مرحلة – الاغنية البغدادية- فقد توهجت نبراتها الغنائية من تجسيد الكثير من الاعمال الفنية لاوسع دائرة من الملحنين[٣]).

ان جيل هذه الحقبة، يود ان يكتشف بنفسه الفرع والسأم اللذين جلبتهما له الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في النصف الاول من القرن وما بعده بقليل. اذ كان يود ان يحصل على تعابير غناسيقية تتسم بجماليات وتذوق جديد تصل به الى آفاق جديدة من التفكير والتأمل والتفائل...

لقد ظلت هذه الظروف التي مرت بالعراق خلال النصف الاول من القرن العشرين، هي المؤثر الاساسي في كل نتاجات الغناء والموسيقى وجمالياتها الجديدة في حقبة التجربة.

كان المطرب الكبير ناظم الغزالي الرائد الاول الذي اتسمت اغانيه ببناء جديد للاغنية الحديثة العراقية على يد بعض الملحنين الطموحين مثل ناظم نعيم ووديع خوندة واحمد الخليل، حيث اعتبر هذا منحا جديدا ومؤثرا في بناء الاغنية الحديثة في نتاجات المطربة مائدة نزهت من خلال زوجها وديع خوندة وبذلك فقد كان ناظم الغزالي ومن بعده مائدة نزهت رائدين في هذا المنحى في البناء اللحني للاغنية الحديثة وخير معبرين عن هذه الحقبة في التفكير والجمال والذوق.

نيابة عن الملحنين وكتاب الاغاني الذين عاصروا هذه الحقبة من تطور موسيقانا.. ففيما يخص الفنانة مائدة نزهت فأن اغنيتها (اصيحن آه والتوبة)[٤] منتصف الخمسينات وهي اول الحان الفنان احمد الخليل لها، كانت قد عبرت عن جماليات هذه الحقبة بصورة واضحة الاثر، حتى قدر لهذه المطربة وهذا الملحن ان يشتهرا من خلال هذه الاغنية التي كانت بداية حقيقية لهما معا وبداية طيبة لابداعات جديدة في خط تطور البناء اللحني الذي كان قد هيأ له وديع خوندة واحمد الخليل وناظم نعيم.. فقد كان الجمهور الذي استقبل هذه الاغنية قد وجد صورة ناطقة لابداعات هذه الحقبة.. وهكذا فان اغنية (اصيحن اه والتوبة) تضمنت عرضا موحدا متسلسلا لما كان من نتاجات اغاني والحان مائدة نزهت واحمد الخليل قبل ظهور هذه الاغنية ×.

ان اللغة والتعبير والبناء امور قد وجدت مقدماتها من قبل ظهورها، فمقومات اغاني مطربي الحقبة وفي مقدمتهم ناظم الغزالي ومائدة نزهت في اغنيتها (اصيحن اه والتوبة) « حيث يقول احمد الخليل (من الفنانات الكبيرات في الغناء العراقي مائدة نزهت التي التقيت بها في الاذاعة سنة ١٩٥٢ وقدمت لها لحن اغنية « اصيحن اه والتوبة « حيث ادخلت فيها ايقاعات خفيفة) [٥] ومرتكزات مطربي الحقبة من جهة اخرى تعتبر اثار للظروف العصيبة التي مر بها العراق في النصف الاول من القرن وما بعده بقليل.. فالجماليات الجديدة من نتاجات الاغاني في هذه الحقبة، كلها كانت كافية لان تهيئ للجمهور العراقي الشيئ المؤثر حقا في نفوسهم، وكان اثر هذا كله ايضا، ايحاء للانطلاق من جديد نحو حياة نتاملها وازالة للغشاوة التي مرت على الشعب العراقي.

لقد جلب وديع خوندة معه الى بغداد عام ١٩٥٧ خبرة لرؤية فكريه وجمالية عاشها في قبرص مذيعا في اذاعة الشرق الادنى الناطقة بالعربية. وكان بفطرته ذا رؤية ثاقبة في كل موهبة فنية بما في ذلك موهبته.. فمضى يكتشف ما تنطوي عليه تلك الموهبة بالنسبة اليه في جد وانتظام.. وبدأ عطاؤه الجديد الى الاجيال الجديدة بالحانة وملاحظاته وادارته لقسم الموسيقى وفسح المجال للقابليات الموهوبة الاخرى لتبدو النتاجات واضحة..

اما الانسة مائدة نزهت وهي المطربة الجديدة فقد كان حظها اوفر من الجميع في تهذيب اغانيها وهندسة مسيرتها الفنية حيث كان الثامن عشر من اذار عام ١٩٥٨ موعدا لزواجها بهذا الفنان الموهوب وديع خوندة، وبذلك بدات مائدة نزهت مرحلة جديدة وجدية في هندسة مسريها الفنية. ومن هذا التاريخ ايضا نلاحظ ان نشاط مائدة نزهت الفني قد بدا يستقر بصورة تدريجية. واصبح اقل من السابق، ولكنه اصبح نتاجا اكثر اتزانا وافضل رصانة واحسن تهذيبا. فحفلاتها الخاصة قد انعدمت او شبه ذلك ونشاطها الانتاجي

امسى اكثر دقة وانتظاما.

على كل حال، ومهما يكن من امر، فاننا نستطيع ان نلاحظ ان جميع تجارب الفنانة مائدة نزهت الغنائية كانت آية في ملائمتها لتطور فنها الغنائي، وآية في ملاءمتها لظروف حقبتها.. فالموضوعات التي كانت تطرقها لم تكن خاصة بالمرأة فحسب، وانما هي جزء من متطلبات الحقبة او هي انعكاسات لها، فاغانيها الاولى نحس فيها عمقا لمشاعرها الجياشة، وهي مشاعر طافحة بالحب، حب الحبيب وحب الوطن، خاصة بالحان احمد الخليل مثل اغاني... اصيحن اه والتوبة – يللي تريدون الهوى – فد يوم – اتمنى تجي يمي – دجلة والفرات – عليك الروح ياسمر – اسال كلب اليهواك – كالو حلو كل الناس تهواه – البصرة – همي وهم غيري... وغيرها من اغاني الملحنين الاخرين. مثل الملحن رضا علي في اغاني اسألوا لا تسالوني – ياناري – يكولولي توبي – مر يا اسمر مر – واغنية محبوبي الغايب – والروح محتارة – لناظم نعيم –[٦] او اغنية – خلهم يكولون – ياحليوة عجايب – لعلاء كامل.. واغاني اخرى – سامبا بغداد – نسمات رومبا – ورد الخدود – وينك – من يدري – قفوا هنا – تاليهة وياك – احبك لا – ام الفستان الاحمر – لوديع خوندة – او اغنية – انا الوطن – لعبد الحليم السيد – وغيرها من الاغاني التي كانت سجلا متسلسلا او تذكيراً بالحاجة للتعبير عن العقد الخمسيني من حقبة التجربة على وجه التحديد. فمن ناحية نلاحظ، هناك اسباب الراحة والمتعة في حياة السيدة مائدة نزهت في هذه المرحلة خاصة بعد زواجها من الفنان الكبير وديع خوندة.. ومن ناحية اخرى.. نلاحظ هناك مجموعة من التجارب الاولى والمتنوعة غير المستقرة التي بدات تتسم بالانتظام والحكمة بعد استقرارها العائلي. والظاهر ان الفنانة مائدة نزهت لم تكن بعيدة عن اي تحليل صائب، فهي تتمتع بذكاء وقاد وشجاعة في الطرح وطموح وثاب الى الامام فلا استبعد انها وضعت نصب عينيها تجربة اغانيها التي اعقبت سنوات بداياتها او تجاربها الاولى.. ان هذا التناظر الواسع بين الذات والواقع وما يتركه من انطباع في شخصية السيدة مائدة نزهت، هو الذي تخلل عملية خلق نتاجات غنائية رصينة امتدت حتى نهاية مسيرتها الفنية.. ففي كل تجربة من تجاربها الغنائية، تاكيد لصحة هذه التجارب.

ولدت الفنانة مائدة جاسم محمد عزاوي في الكرخ من بغداد عام [٧]١٩٣٧.. وهي واحدة من اربع بنات وولد واحد.. لامهم وابيهم.. حسنية – بدرية – سامية – مائدة – وخلف.. كان والدها ضابطا في الجيش العراقي.. فكان يتنقل مع عائلته حسب مكان عمله من منطقة الى اخرى في بغداد.. وفي مقتبل عمرها حفظت الاجزاء الاولى من القرآن الكريم عند الملا في (الكتاتيب)[٨]، ثم دخلت مدرسة الرصافة الابتدائية حيث شاركت لاول مرة في اداء الاناشيد المدرسية منتصف الاربعينات.. وبسبب القيود الاجتماعية الصارمة.. فقد كانت ترفه عن نفسها وتمارس هوايتها الادائية بمشاركتها الاداءات الدينية مع النساء من الاقارب والمعارف. وبسبب هذه القيود ايضا.. لم تستطع ان تدرس الموسيقى – وفي عام ١٩٥٤ اعجب بها منير بشير وخزعل مهدي[٩]، فشجعاها على التقديم للاذاعة فخضعت للاختبار فنجحت نجاحا باهرا[١٠]..

لحّن لها ناظم نعيم اول اغنية (الروح محتاره والدمع يجاره) التي كانت تجربتها الاولى، فلم ينتبه اليها جمهور كاف.. ولكن تجربتها الاخرى مع الملحن احمد الخليل في اغنية (اصيحن آه والتوبة) تعتبر منعطفا جديدا لها رفعها الى مصاف المطربات المعروفات، الامر الذي عمق بداياتها، فقد اشتهرت هذه الاغنية واشتهر معها الملحن احمد الخليل والمطربة الواعدة مائدة نزهت ايضا.

من هنا نستطيع ان نحدد بداية جيدة لمائدة نزهت. اما اغانيها الاخرى التي اعقبتها فقد اثبتت نجاح وعلو كعب هذه المطربة القديرة. وخلال عملها في ستوديوهات الاذاعة فقد شاع بين الموظفين الفنيين اسم مائدة نزهت وفي النهاية اصبح اسماً فنيا اقترن باسمها – مائدة نزهت – بدلا من مائدة جاسم.. وكان ذلك منذ اول اغنية لها مع احمد الخليل – اصيحن آه والتوبة- وكان من شأن نجاح هذه الاغنية ان شجع الملحن القدير احمد الخليل لتلحين اغان اخرى نالت النجاح الباهر مثل – يللي تريدون الهوى – فد يوم اتمنى تجي يمي – دجلة والفرات – عليك الروح يا اسمر – اسال كلب اليهواك – كالو حلو كل الناس تهواه – همي وهم غيري – البصرة. وعن هذه الحقبة يقول عباس جميل في لقاء له بجريدة العراق الصفحة الاخيرة، اجراه فؤاد العبودي – (قمت بتلحين اول اغنية لمائدة نزهت قبل ان تغني للاذاعة هي (جاني من حسن مكتوب) ضمن فلم دكتور حسن ربما كانت طريقها للاذاعة، بعدها غنت من الحاني يا كاتم الاسرار)[١١].

لفترة قصيرة ابتعدت فيها مائدة نزهت عن الاذاعة والوسط الفني برمته بسبب بعض المشاكل التي جابهتها من قبل بعض الفنيين والاداريين في اعتراضها لعدم اذاعة اغانيها وكان ذلك عام ١٩٥٥ وهي لم تزل في بداياتها.. واستمرت الحالة حتى عام ١٩٥٧ بعد ان عاد الفنان وديع خوندة من غربته وعمله في اذاعة الشرق الاوسط الناطقة باللغة العربية في قبرص وبيروت، وهو الفنان الذي اصبح اول رئيس لقسم الموسيقى في الاذاعة عند تاسيسه منتصف الاربعينيات بجهود منه وقرار من مدير الاذاعة زمنذاك المرحوم حسين الرحال.. وعن طريق الملحن احمد الخليل تعرف على مائدة نزهت حيث ذهبا معا الى اهلها لاقناعها واقناعهم بالعودة الى الغناء بعد ان اقتنع الفنان وديع خوندة بصوتها فقد اسمعه احمد الخليل اغنية (اصيحن اه والتوبة) ×باستوديو الاذاعة.. وفي هذه الزيارة تمت تسوية الامر وعادت مائدة الى الوسط الفني والاذاعة لتواصل نشاطها الغنائي.. لتبدا مرحلة جديدة من مسيرتها الفنية اتسمت بالنظام والاتزان والرصانة واستمرت هكذا حتى نهاية مسيرتها الفنية، ولتستمع عزيزي القارئ الى بعض اغاني هذه البدايات من الحان احمد الخليل مثل اغنية البصرة التي كتبت كلماتها فتاة دجلة واغنية يللي تريدون الهوى التي كتبها اسماعيل الخطيب واغنية ياسمر التي كتب كلماتها الشاعر عبد المجيد الملا واغنية فد يوم كلمات طالب القيسي. واغنية كالو حلو التي كتبها ابراهيم احمد واغنية اسال كلب اليهواك لناصر التميمي. في هذه الاغاني نلتقي لاول مرة بتعابير غنائية مفرحة مبتسمة طافحة بالحب والتفاؤل. ان هذا التأمل، وهذه التعابير المفرحة المتسمة بالشجن لمطربة في عقد الخمسينات وفي حقبة التجربة يقودنا الى الاعتقاد بأشياء كثيرة.. إن مثل هذه الكلمات المغناة وهذه الالحان وهذا الاداء، تجريب وتمرين ادبي وفني لحقبة تطورية تجريبية عند منتصف القرن العشرين وما يحيطه من عقود زمنية.. الا ان الامر كان كذلك.. فهكذا حكى لنا الواقع المعاش، وهكذا روت الوقائع والاحداث.. فهذا ما جرى، فلا يجب مناقشة ماهية الحدث بقدر مناقشة الاسباب والظروف المرافقة ومسألتي التاثير والتاثر، فمائدة نزهت التي تطورت فنيا من الحزن المباشر في التعبير الغنائي الى تعابير شجية مهذبة مبتسمة، في انتقالاتها تُحسِّسْ المستمع بمقدرتها الفائقة للتارجح بين الفرح تارة لتهز اوتار قيثارة المستمع فيتمايل طربا معها، وبين الترح تارة اخرى تأخذ بيدك مواسية معلّلة..! كانت قادرة على الفرح من الحزن، التي وضعت مائدة نزهت نفسها فيه كنموذج لفناني حقبتها، أي قدرتها تتجسد في تمكنها على الانتقال الانسيابي الهادئ من الفرح الى الحزن وبالعكس دون تحسس مشوب بالتنافر، فهي لم تنتقل من حالة انسانية الى حالة اخرى بقصد استعراض ممجوج، بل ان الظرف شحّذ موهبتها فقدحت وازدهرت عن سلاسة بديعة حباها الله بها.

وهذه إحدى أغانيها (قالو حلو) وكذلك هذه الاغنية اسال قلب اليهواك تعتبر الالحان التي اعطاها الفنان وديع خوندة لمائدة نزهت قبل وبعد زواجه منها بقليل انعطاف جديد في مسار الاغنية الحديثة في بنائها اللحني من حيث تنوع الكوبليهات مع المذهب، وهو يبين لنا ايضا خلجات كتاب الاغاني هذه، وهكذا كانت مائدة نزهت سيدة الموقف في حصيلة النتائج التي استطاعت ان تعبر عن مشاعر الملحن والكاتب معا، وهكذا كان الاتفاق التعبيري لمجموعهم.. ومن هذه الاغاني مثلا اغنية يم الفستان الاحمر التي كتب كلماتها الشاعر عبد المجيد الملا واغنية – احبك لا – التي كتبها اسماعيل الخطيب واغنية تجونة لو نجيكم من كلمات رشيد حميد واغنية تاليها وياك التي كتبتها امل سامي واغنية نسمات رومبا وسامبا بغداد التي كتبها حسن نعمة العبيدي واغنية وينك التي كتبها وديع خوندة نفسه ولنستمع معا الى بعضها.

ولدت الفنانة مائدة جاسم محمد عزاوي في الكرخ من بغداد عام [7]1937.. وهي واحدة من اربع بنات وولد واحد.. لامهم وابيهم.. حسنية – بدرية – سامية – مائدة – وخلف.. كان والدها ضابطا في الجيش العراقي.. فكان يتنقل مع عائلته حسب مكان عمله من منطقة الى اخرى في بغداد.. وفي مقتبل عمرها حفظت الاجزاء الاولى من القرآن الكريم عند الملا في (الكتاتيب)

اغنية يم الفستان الاحمر

اغنية تاليها وياك

لطالما استمتعت بذكريات فنيه عشتها مع السيدة مائده نزهت وقد ضمتنا فرقة التراث الموسيقي العراقي التي اسسها الموسيقار الراحل منير بشير مطلع السبعينات.. يلفُنا يوم وظيفي دائم طيلة اكثر من اثنتي عشرة سنة، لا نحس بثقل في دقائقة ولا غضاضه من لحظاته، فقد كنا اعضاء الفرقة جميعاً متآلفين محبين لبعضنا، واذكر ان علاقتي بالسيدة مائدة كانت قوية جداً وربما اقوى من علاقة زملائي الفنانين بها من اعضاء الفرقة، وكانت تأنس لمجالستي خاصة ونحن نتحدث عن شؤون المقام العراقي... فانت مع انسانة بمعنى الكلمة، تنبئك ابتداءً بنبلها وسمو مرتبتها و اخلاقها الجمة.. تبادلت الاخاء معها فأثمر عن تعلمها لمجموعة من المقامات العراقية قاربت العشرة مقامات.. اجادت بتفوق في تلقفها و استيعابها كاي مطرب مقامي وعى منذ نعومة اظافره على سماع وتعلم هذا الفن، لم أعان في تعليمها.. فمنذ الوهله الاولى

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2424)
السنة التاسعة
الخميس (15)
اذار 2012

تتلقى الاصول التقليدية لغناء المقامات لتتفاعل في مكوناتها العميقة، وقد باشرت في تسجيلها في الاذاعة والتلفزيون كما غنتها في المهرجانات الدولية من خلال مشاركات الفرقة الكثيرة خارج العراق.

أجدني عندما اذكر حقائق، استشعر راحة كبيرة، فمن هذه الحقائق تنجلي واخرى مغبونة منسية.. ومن الحقائق ان هذه المغنية الكبيرة غنت المقامات باصولها التاريخية دون الخروج عن ذلك احتراماً لهذه التقاليد الغنائية، ولما كان الخروج عن القوالب لاي فن تراثي محفوف بالمخاطر، فهو سلاح ذو حدين.. فقد استنكره غالبية المقاميين بحجة المحافظة على الاصول التقليدية.. وهو رأي تميل اليه الكثرة، مع ان البعض حاول التملص من هذه الشرنقة العتيقة.. اما الاضافة فهي تناظر الخروج عن التقاليد بل هي من نتائجه.. ولما كانت مطربتنا قديمة عهد بالغناء، فقد اتاح لها عمرها الفني ان تصول وتجول لتخرج وتضيف جماليات ادائية ابداعية غاية في الفن والاتقان.. وعليه فهي اول مغنية مقامية غنت المقامات باصولها التقليدية، اي انها ادت الشكل المقامي (Form) وعبرت عنه بمضامين غنائية مقامية عراقية بغدادية.. ولو اضطررنا الى الاستشهاد فمن السهولة العودة الى مقاماتها، وليكن مقام الحويزاوي.. هذا المقام الذي سبق ان غناه الكثير من المغنين المقاميين، ولكن القلة فقط لم تستكن للروتين، وكان التقليد المهيب في الغناء المقامي، يمنع ان يؤدى مقاماً معيناً الا وقد انطلق من التقليد التام.. واول واهم مراكز التقليد هي ان تكون القصيدة المغناة ذاتها التي سبق ان غناها احد المغنين المشاهير وفي نفس المقام المعين. فمقام الحويزاوي الذي غناه المغني التاريخي محمد القبنجي، وبما لهذا المغني الكبير من سطوة هائلة على الجماهير فقد كان مقامه الحويزاوي له سطوه اخرى على مسامع واذواق المغنين والجماهير منذ ان سجله اذاعياً عام ١٩٥٦ حسب ما قيل لي، واعاد غنائه عام ١٩٦٤ في مؤتمر ومهرجان الموسيقى العربية الثاني الذي انعقد في بغداد، وهذه المرة سجل تلفزيونياً بحيث لم يجرأ اي من المغنين الاخرين ان يغنوا مقام الحويزاوي بعد هذا التاريخ الا بنفس القصيدة و نفس الاداء الذي اداه استاذنا محمد القبنجي، والقصيدة مأخوذة من كتاب الف ليلة و ليلة. ففي هذا المقام كمقاماته الاخرى كان القبنجي كطائر تاريخي من العصور القديمة يبسط جناحيه الهائلين صوب المشرق و المغرب، والكل تحت خيمته.. فمن يجرؤ على مجرد طرح رأي ولو كان بسيطاً..!!!

غنى القبنجي مقام الحويزاوي، فغزى القلوب والافكار والهب المشاعر في قصيدة لو كان قائلها حي يرزق لقدم الولاء والشكر والعرفان لهذا الفنان لانه خلدها بالفعل، اذ نفض غبار الزمن عنها واظهر بريقها الوهاج.. وتقول القصيدة..

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم
فحملوها و سارت بالهوى الابل
يا حادي العيس عرج كي اودعهم
يا حادي العيس في ترحالك الاجل
اني على العهد لم انقض مودتهم
يا ليت شعري بطول البعد ما فعلوا
لما علمت بان القوم قد رحلوا
وراهب الدير بالناقوس منشغل
شبكت عشري على رأسي وقلت له
يا راهب الدير هل مرت بك الابل
فحن لي و بكى وأنَ لي و شكى
وقال لي يا فتى ضاقت بك الحيل

ان البدور اللواتي جئت تطلبها
بالامس كانوا هنا و اليوم قد رحلوا

اتى بعد الفنان المبدع القبانجي في مقامه هذا وبالقصيدة التي اعتبرها المؤرخون من القصائد الواحدة، مغنون كثيرون، غنوا هذا المقام (الحويزاوي) وبذات القصيدة بما فيهم المغنون الكبار، فتساقطوا في هذا المقام كأوراق الخريف رغم جودتهم وعلوّ كعبهم ما خلا اثنين من المغنين الذين لم تضعهم الجماهير المقامية ضمن قائمة مغني المقام العراقي..!! وهو امر ليس عادلاً... لان الجماهير تنظر اليهما على انهما مغنيان للاغنية الحديثة، فكان اولهما فنان القرن العشرين ناظم الغزالي الذي تجاوز التقاليد فابدع في الغناء الحديث والغناء المقامي بصورة فنية لم يسبق اليها مثيل فكان اول مطرب عراقي استطاع بفنه ان ينشر المقام العراقي والاغنية القديمة (البسته) الى كل ارجاء الوطن العربي وخارجه، دون الاعتماد على عكازات من تعابير ادائية غنائية تعود لبيئات اخرى غير عراقية... ولم يأت بعده الا واستند على تعابير من هنا وهناك ليصل بفنه الى الخارج... فمن شعر البهاء زهير غنى ناظم الغزال مقام الحويزاوي، وهو اول حويزاوي يخرج عن التقاليد التي اعتاد بها المغنون ان يؤدوا مقام الحويزاوي، نفس حويزاوي القبانجي نصاً شعرياً ولحناً دون زيادة او نقصان، ولكن الغزالي قد فعلها وغنى هذا المقام بقصيدة اخرى ومسارات لحنية بتعابير مغايرة لما جاء في مضامين تعابير القبانجي وبهذا يكون الغزالي في هذا المقام قد انجز ابداعاً اخر في سلسلة ابداعاته الكثيرة ولنستمع اليه في هذا المقام بقصيدة البهاء زهير :

وقائلة لما اردت وداعها
حبيبي أحقاً انت بالبين فاجعي
فيارب لا يصدق حديث سمعتة
لقد راع قلبي ما جرى في مسامعي
وقامت وراء الستر تبكي حزينة
وقد سترته بيننا بالاصابع
بكت فارتني لؤلؤاً متناثراً
هوى فالتقته من فضول المقانع
ولما رأت ان الفراق حقيقة
واني عليه مكره غير طائع
تبدت فلا والله ما الشمس مثلها
اذا اشرقت انوارها في المطالع
تسلم باليمنى علي اشارة
وتمسح باليسرى مجاري المدامع
وما برحت تبكي وابكي صبابة
الى ان تركنا الارض ذات نقائع
ستصبح تلك الارض من عبراتنا
كثيرة خصب رائق النبت رائع

هذا وقد غنى ناظم الغزالي بعد انتهائه

من الحقائق ان هذه المغنية الكبيرة غنت المقامات باصولها التاريخية دون الخروج عن ذلك احتراماً لهذه التقاليد الغنائية، ولما كان الخروج عن القوالب لاي فن تراثي محفوف بالمخاطر، فهو سلاح ذو حدين.. فقد استنكره غالبية المقاميين بحجة المحافظة على الاصول التقليدية.. وهو رأي تميل اليه الكثرة، مع ان البعض حاول التملص من هذه الشرنقة العتيقة..

من غناء هذا المقام اغنية (وشبان مني ذنب) وقد غنى ايضاً خلال سير الاغنية ابوذيه بطور المصلاوية وسلّمُها الحجاز وهو نفس سلم مقام الحويزاوي وهذه هي الابوذيه.

يمين اقسم بالشمس وضحاها
غرامك اثر بروحي وضحاها
حبيبي انجان الك فكرة وضحاها
دخيلك لا تخليها خفية

اما التجربة الثانية فهي للمطربة الشهيرة مائدة نزهت، حيث غنت هي الاخرى مقام الحويزاوي باسلوب فني مغاير تماماً لاسلوب مطرب الاجيال محمد القبنجي و مغاير ايضاً لاسلوب فنان القرن العشرين ناظم الغزالي، ولم يكن ذلك لمرة واحدة بل كررت ذلك مرتين و بقصيدتين جديدتين مختلفتين ففي المرة الاولى غنت الفنانة مائدة نزهت مقام الحويزاوي بقصيدة عبد المجيد الملا.

يا من هواه اعزه و أذلني
كيف السبيل الى وصالك دلني
واصلتني حتى ملكت حشاشتي
ورجعت من بعد الوصال هجرتني
الهجر من بعد الوصال خطيئة
يا ليت قبل الوصل قد اعلمتني
انت الذي حلفتني و حلفت لي
وحلفت انك لا تخون فخنتني
وحلفت انك لا تميل مع الهوى
اين اليمين و اين ما عاهدتني
فلأقعدن على الطريق و أشتكي
واقول، مظلومٌ و انت ظلمتني
ولأدعون عليك في غسق الدجى
يبليك ربي مثلما ابليتني

وقد تحدثت عن هذا المقام في كتابي السابق(المقام العراقي الى أين؟) صفحة ٨٦، وفي المرة الثانية اثبتت الفنانة مائدة نزهت امكانياتها الابداعية وغنته بقصيدة الشاعر المخضرم حافظ جميل بأجمل ما يمكن ان يكون.

وا عظم بلواك من هم تعانيه
ومن جوى ألم في النفس تخفيه
لله آهتك الحرى اذا انبعثت
عن لاعج في سواد الليل تذكيه
في كل زفرة حزن منك تبعثها
مشوبُ نار على الاكباد تلقيه
يا راهباً و ظلام الليل معبده
حتى م تقرع حزناً في دياجيه
وهل سألت دفين الوجد لا تركت
آلامه فيك او ابقت مآسيه
يا قلب هْبكَ نسيت الجرح ملتئماً
هل انت من ألم المكبوت ناسيه

بهذا الغناء لهذا المقام، صفق لها المبدعون وهلل لها المتذوقون، ليس فقط على اداء متميز، بل لجرأة وإقدام، ورفضها البقاء اسيرة.. ورغم كل ذلك لا يعتبرها التقليديون هي وزميلها الغزالي مغنون مقاميون!!! وربما يكون الامر طبيعياً بالنسبة لهم باعتبارهم تقليديين يرفضون كل ابداع وتجديد.

اما بالنسبة لي فقد غنيت هذا المقام في بداياتي منتصف السبعينات بقصيدة للدكتور رشيد العبيدي وهي :

يا ظبية هام الفؤاد بحبها
هلا رأفت بقلبي المجروح
الحب للانسان برء من ظنى
فاراك سيدتي عصفت بروحي
وجدي اذا كتمته في جانحي
قالت حشاشاتي لعيني بوحي
انا من يعيش على هواك مؤملاً
واليك في هذي الحياة جنوحي
إلفان ضمهما الحنين على المدى
كحمامتين على ربيع سفوحي

وفي صدد اغنية – تاليهه وياك – اذكر اني كنت مرة خلال الدوام الوظيفي اليومي لفرقتنا ونحن نتمرن على بعض الاعمال الغنائية المقامية وابداء ملاحظاتي المقامية للفنانة مائدة نزهت وقد كنا في حضرة مقام الحكيمي وهو من سلم مقام الهزام.. وفي هذه الاثناء مال حديثنا الى اغنية – تاليهه وياك– وهي من نفس السلم حتى اخذت تغني ببعض مقاطعها التي ابديت اعجابي ببنائها الموسيقي وادائها المتقن الجميل فسألتها عن ظروف هذه الاغنية... فكانت ان اجابت بصراحة وجراءة فقالت (في هذه الفترة كنت على علاقة حب طاهر نقي مع الفنان وديع خونده، وكان ذلك قبل زواجنا طبعاً، كنت كمراهقة غرة، لا يهمها كتمان مشاعرها وكان قد لحن لي هذه الاغنية فعند تسجيلها في ستوديو الاذاعة كان وديع موجود في كونترول الاستوديو جالساً مع المخرج وكنت انا في ذروة مزاجي الغنائي ومشاعري الجياشة مما جعلني اغني بكل الصدق والجودة فكان ان نجحت هذه الاغنية نجاحاً كبيراً ليس فقط لجمالها بل لمستواها الراقي في الكلمات والبناء اللحني والاداء الغنائي). وبذلك يمكننا ان نقول من جانب اخر ان هذه الاغنية سجلت قبل عام ١٩٥٨ وهو عام زواجهما واليك عزيزي القارئ كلمات الاغنية ونوتة لحنها...

من الالحان الاولى للحنين اخرين التي غنتها مائدة نزهت والتي ترتبط من الوهلة الاولى بتعابير حقبة التجربة مثل اغنية ياحلو التي كتب كلماتها خزعل مهدي واغنية ياهوانا التي كتبها غازي جميل واغنية يمسيرين الهوى التي كتبها حسن ترجمان واغنية محتارين لداود القسام واغنية محبوبنا الغايب لجبوري النجار واغنية لاتبجين ياعين لعبد الستار القباني التي لحنها جميعا ناظم نعيم واغاني اخرى مثل اغنية يكولولي توبي لمحمد حسن الكرخي واغنية يم العباية الجاسبي لعبود السوداني واغنية يابوية اشتريني لحميد النجار واغنية انتظار لعباس العزاوي التي لحنها جميعا رضا علي واغاني اخرى مثل اغنية خلهم يكولون لهلال عاصم[١٢] التي لحنها علاء كامل[١٣] واغنية يحليوة عجايب لنفس الكاتب والملحن. وأغنية – نعم هالي سمالي– التي كتبها جعفر الاديب ولحنها سعد شعبان واغنية على كيفك لوليد جعفر ولحن محمود الكويتي وغيرها من الاغاني الاولى في بداياتها التي عكست واقع الحقبة الزمنية من تطور موسيقانا والتجربة المستمرة في ذلك.

اغنية اسالوا لاتسالوني
اغنية لو ما الهوى التي كتبها سبتي طاهر ولحنها الملحن اللبناني عفيف رضوان. واغنية كاعد على دربكم التي كتبها حسين علي ولحنها الملحن اللبناني عفيف رضوان ايضا.

في خضم الاحداث والمشاكل التي كان يعج بها العراق اواخر العقد الخمسيني وبداية العقد الستيني وبسبب مضايقات معينة، سافرت مائدة نزهت مع زوجها وديع خوندة عام ١٩٦٢ الى بيروت، وهي المرة الاولى التي تسافر فيها خارج العراق، وفي بيروت بدات مرحلة جديدة من مسيرتها الفنية فقد كان زوجها على علاقة ببعض الصداقات مع الفنانين اللبنانيين والعرب منذ ان عمل في اذاعة الشرق الادنى. مثل عبد الحليم حافظ بواسطة محمد عبد المطلب الذي كان صديق وديع خوندة

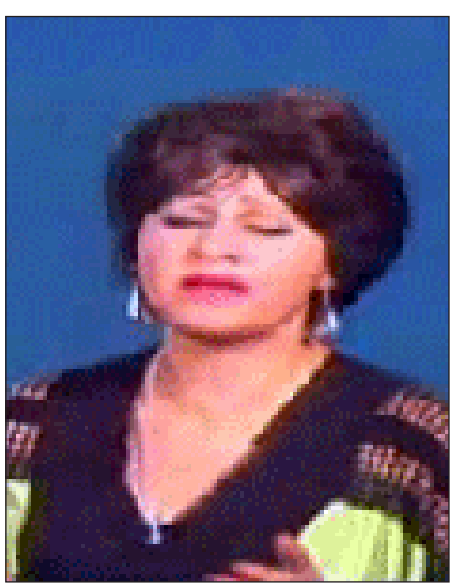

في بغداد وتعرفت على اعضاء الفرقة الماسية وهدى سلطان ولبلبة ونجاح سلام وصباح ووديع الصافي ونصري شمس الدين وغيرهم. وفي هذه الفترة من اقامتهم في بيروت لحن لها زوجها اغنية يا خوية ويا احلى خي التي كتب كلماتها زين شعبي.

في هذه الاثناء وبعد تحسن وضعهما واستقرارهما، قاما بسفرة سياحية الى اوربا عادا بعدها الى ارض الوطن عام ١٩٦٣ ثم اضطرا للعودة الى بيروت ثانية وبقيا هناك، وفي عام ١٩٦٤ انجبت مائدة ابنها البكر- اياد – وبعد ذلك باشرا مرة اخرى نشاطهما الفني وقد ذهبا الى سوريا التي فتحت ابوابها لهما، ولكنهما بقيا في دوامة من الذهاب والاياب بين سوريا ولبنان، ونشاطهما الفني مستمر وقد ساعدهما الفنان الكبير الفلسطيني الاصل حليم الرومي حيث كان مسؤولا عن الموسيقى في الاذاعة اللبنانية، وقد لحن لها بعض الفنانين العرب منهم حسن غندور وعفيف رضوان وخالد ابو النصر وسعدون الراشد والكويتيان عوض دوخي وحميد الرجب بعد ان سافرت الى الكويت لفترة معينة.

في سوريا سجلت مائدة نزهت بعض الاغاني للاذاعة وكذلك شاركت في احتفالات الوحدة الثلاثية بين العراق ومصر وسوريا.. وكانت اغنية اسألوه لا تسالوني اسألوه من بين الاغاني التي شاعت واخذت شهرة واسعة وكذلك اغنية يا خوية ويا احلى خي.

في عام ١٩٦٨، عادا الى ارض الوطن، وحال عودتهما باشرا نشاطهما الفني فكانت اغاني عديدة مثل اغنية (قفوا هنا) التي كتبها عبد السلام ابراهيم ولحنها وديع خوندة واغنية (عراق التاميم) التي كتبها ناظم السماوي ولحنها ياسين الشيخلي[١٤] وقد لحن لها محمد سلمان اغنية (شمس بغداد) واغنية (حبيبتي بغداد) للشاعر شفيق الكمالي والحان وديع خوندة.

نستطيع ان نلاحظ تطور وتنوع اغانيها التي تلت البدايات الاولى مثل اغنية (ياقلبي لتكول التوبة) التي كتبها فوزي ابراهيم واغنية (مرحبا بالجاي لينا) – التي كتبها صباح سلمان واغنية (حبي وحبك) التي كتبها سعدي معيد ولحنها جميعا محمد نوشي واغاني اخرى مثل اغنية (سالت عنك) التي كتبها عبد الكريم مكي واغنية وحدوية لداود الغنام واغنية سلام لغازي مجيد التي لحنها فاروق هلال كلها [١٥]. واغنية (ورد الخدود) كتبها انيس ابي رافع واغنية(ياخية) التي كتبها ابو رياض، واغنية (من يدري) لعبد المجيد الملا، واغنية (حن) لامل سامي، وقصيدة (بان الاخلا) للشاعر جرير، واغنية (المكتوب) لعبد الله المعروف، وكلها من الحان وديع خوندة واغاني اخرى مثل اغنية (هذا آنة الوطن) لخالد الشعري ولحن عبد الحليم السيد، واغنية (ياشاغلني) للشاعر احمد رامي ولحن جميل بشير، اغنية (حب الناس) لمحمد عمران، ولحن عبد الفتاح حلمي، ومن الحان رضا علي، اغنية (حمد يا حمود) التي كتبها خزعل مهدي، واغنية اخرى لحنها محمد عبد المجيد وكتبها كريم العماري، (شوكنه) وكذلك اغنية (لا تعتذر) لخليل الخوري، ولحن سالم حسين، اغنية (حلم اخضر) لمحمد هاشم، ولحن عباس جميل واغاني اخرى ايضا من الحان ياسين الراوي مثل اغنية (يوم الفرح) لغازي جميل، واغنية (رد الحبيب) لعلي الربيعي، واغنية اخرى (سنبل الديرة)، التي كتبها كريم العماري، واوبريت غنائي من الحان محمد جواد اموري، واغنية (نعم) لحن عبد الجبار الدراجي، واغنية (لا باس يا ترف) لعوض دوخي، واغنية (لا يا هوى) لكاظم عبد الجبار، ولحن طالب القرغولي، واغنية (حنان عيونك) لحامد العبيدي، ولحن جميل سليم، ومن الحان احمد الخليل، اغنية (هلها يومولي الهلا) لكاظم العبودي، واغنية (عالي الجبل) لعبد الجبار العاشور، واغنية اخرى وانا المحروم لطالب خضير، ولحن جمال جلال[١٦]، وقصيدة الفارابي الشوق والالم لحنها سالم حسين، واغنية (الحاصودة) لذياب كرار، لحنها كوكب حمزة، واغنية (نذر) لعلي الحلبي، ولحن عبد الحسين السماوي، واوبريت غنائي لناظم نعيم، اغنية باب دجلة لحسن نعمة العبيدي، لحن عبد الكريم بدر، واغنية (بشائر المنى) لصاحب خليل، ولحن كنعان وصفي[١٧]، واغنية (تجونة لو نجيكم) لرشيد حميد ولحن خزعل فاضل، والحان كثيرة اخرى نرى فيها السيدة مائدة نزهت تكافح في سبيل نجاحات تلو نجاحات ومن اجل تحقيق ذاتها، فهي تريد ان تكون قريبة دائما من المجتمع، من الجمهور.. انه لشيء جميل ان نستمع الى اغنية تتضمن دلائل كثيرة من ترابط وتماسك ومحبة المجتمع، دون الحاجة الى مناقشتها وخير مثال لنا اغنيتها – تجونة لو نجيكم.

اغنية تجونة لو نجيكم

وفي اغنية (لا يا هوى) التي كتبها كاظم عبد الجبار ولحنها طالب القرغولي [١٨]، نلاحظ انتقالة واضحة في التعابير الادائية تطفح بالفرح والغزل وهي توحي فعلا بانتقالة لاغانيها من اجواء الستينات الى اجواء السبعينات.

اغنية لا يا هوى

وكذلك نلاحظ ذلك في اغنية (عيني يلولد) التي كتبها حسن الخزاعي ولحنها خليل ابراهيم[١٩].. ان افاقها توسعت لتشمل حجم التغيرات، ومن جديد نشعر بقربها من جمهور الشباب.

اغنية عيني يلولد

مرة اخرى نستطيع ان نلاحظ في اغنية (حلوين) من كلمات غازي مجيد ولحن ياسين محمد الراوي، ذلك التغيير الذي يوحي بسرعة الحياة في العقد السبعيني التي بدت اكثر من السابق.. ذلك التغيير الذي يظهر علاقة مائدة نزهت بالجمهور.. نوع من العلاقات المحفزة للتطور والتفاعل الحقيقي.. وفيها نحس ان الامر هو في الاساس اكبر من نجاح اغنية.. وقد يكون لهذه العلاقة الضمنية بين الفنان والجمهور في طبيعة الارتقاء بالغناء العراقي عموما وبالنتيجة تكون النجاحات كبيرة.. فاغاني مائدة نزهت توحي لنا دائما بافكار وجماليات متفائلة مليئة بالحياة.. ان اغانيها بصورة عامة في العقد السبعيني انتقال من حالة الى اخرى، من ظروف الاجواء المضطربة في السياسة والاقتصاد والاجتماع الى ظروف اوحت منذ البداية باستقرار واضح في هذه النواحي، الى الرغبة والتخلص من ظروف الانفعال الدائم.. الى التخلص من كل ذلك.. ولنستمع الى اغنية حلوين.

اغنية حلوين

ان هذا الخيال الجديد، والمنحى التعبيري المتجدد، في اغنية السبعينات، واعادة تنشيط الذات ضد القلق والاضطراب يذكرنا بحقبة التحول وشيخها الابداعي محمد القبانجي الذي كان منعطفا جماليا وتعبيريا في الاداء المقامي والغناء البغدادي. وهكذا فان مائدة نزهت تحاول بقوة وشدة للاقتراب من واقع الحياة الجديدة التي امسى يعيشها العراقيون بعد الثورة. وفي هذه الاجواء تبدو اغنية سألت عنك التي كتبها عبد الكريم مكي ولحنها فاروق هلال مناسبة الان للاستماع اليها.

لم تكن ابدا خيالات وتاملات مائدة نزهت الجديدة هذه بدون مبرر، او مجرد خيالات وتاملات خاصة.. فان اختيار هذه الخيالات والتأملات والتعابير المبتسمة اكثر من السابق والجديدة، تتحدد بمناسبتها للشيء الذي يراد الدلالة عليه، وقد دلت الحياة في العراق بعد انتصاف القرن العشرين على اطلاق ديناميكية جديدة لحياة العراقيين.. ان هذه التطلعات جميعها تصور لنا مزايا ايجابية في منحى تطور اغنيتنا الحديثة، ولا تدل لنا على الغموض والابهام، ومن زاوية ما، تبقى الامور مقرونة ايضا بوضع الشاعر والملحن ديناميكيا في النص الشعري واللحني اللذين يثيران اهميتهما مباشرة.. فتسيطر الخيالات المتفائلة عادة، وعلى هذا الاساس لدينا تعابير جميلة وجديدة في اغاني مائدة نزهت ومقاماتها التي بدت تجربتها فيها منتصف العقد السبعيني.. ويعتبر النموذج الاخير مثالا حيا لاستيعاب مائدة نزهت الخيالات الرئيسة لاجيال السبعينات وما تلاها، خاصة وهي تجرب تادية لون غنائي تراثي متسم بالتعابير الحزينة.. وهكذا فان مجرد سماع احد المقامات التي غنتها مائدة نزهت، يوفر لنا شعورا بشيء متحرك باستمرار وفي تطور دائم.. ان نتيجة التعابير المقامية الموصوفة اصلا بالحزن والانفعال وان يكن ذا شجن طروب.. توحي لنا بجنة اصيلة.. تحركها افكار وتطلعات المتفائلين، وغالبا ما تكون تعابير مائدة نزهت واقرانها من المغنين المعاصرين لحقبتها في التعابير وفي حالتها الديناميكية، مندمجة ومتوافقة... وهكذا تكون لدينا اغنية معبرة عن تطلعات الشعب باجمعه.. ولنستمع الان الى احد مقاماتها التي غنتها في هذه الحقبة وليكن مقام الشرقي رست.

يا صاح وجهك علي بوَحشتي منهل
تميت حاير اناشد يا ربع منهل
كل الفرح ياولف بمواصلك منهل
انت حبيبي وولفي احب ملكاه
يامن تجيب الفرح ويَا لهَنا ملكاه
من غير عطفك ادور عالفرح ملكاه
عطشانة روحي والكبت ابمبسمك منهل

ملاحظة : كل الاغاني ونوطاتها التي وردت في هذا المحور موجودة في كتابي الموسوم (المقام العراقي باصوات النساء) الصادر في كانون الثاني January ٢٠٠٥ في بيروت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر..

[١] صبيحة ابراهيم – مطربة عراقية كبيرة انجزت الكثير من الأغاني الحديثة ، ولدت في بغداد في ثلاثينات القرن العشرين ، لحن لها الكثيرون وكتب لها الكثير من الشعراء.

[٢] لميعة توفيق – من المطربات العراقيات الكبيرات اللواتي تركن اثرا كبيرا في الغناء العراقي الريفي والحديث ، ولدت في بغداد في ثلاثينات القرن العشرين وتوفيت عام ١٩٩٧.

[٣] الهاشمي ، عادل ، جريدة الجمهورية ، ص الثقافية ، ١٩٨٨/٣/٣٠ العدد ٦٧٧١.

[٤] في لقاء مع الفنان احمد الخليل قال ان هذه الاغنية لحنتها فيما بين عام ١٩٥٢ او ١٩٥٣ – لا اتذكر جيداً...! ، المصدر بحث في قسم الموسيقى في كلية الفنون الجميلة.

× (كان الملحن احمد الخليل يدرس صوتها ويتمنى ان يطلقه باتجاه التعبير عن الغناء الجديد الذي يروم الوصول اليه ، وكان دائم التفكير بصوت مائدة نزهت.. فاخذ على عاتقه مهمة تحفيضها بعض الوان التراث الغنائي العراقي.. ومحاولة دفع صوتها الى روح العصر.. وكان احمد الخليل على صلة قوية بالمنلوجست حسين علي ، حيث اخبره بقصة المطربة التي ما زالت تغني من دون ان تمتلك ذلك التاثير الذي يدفعها الى دائرة الانتشار الاوسع ، ومن هنا انطلق حسين علي وكتب اغنية جديدة (اصيحن اه والتوبة) ولحنها احمد الخليل بادخال عناصر التجديد في الانغام والالات الموسيقية ثم التفت الى مائدة نزهت ، وطلب منها ان تحفظ اللحن ، لانه هويتها الجديدة في الغناء ، ثم طلب من صديقه العازف الشهير منير بشير ان يتولى عزف المقاطع الانفرادية لالة العود.. وتم تسجيل الاغنية وقد سجلت نجاحا منقطع النظير ، حيث ولدت مع هذه الاغنية المطربة مائدة نزهت).. (الهاشمي، عادل، جريدة الجمهورية، الصفحة الاخيرة ، بغداد ٢٠٠٢/٦/٢٩ ، العدد ١٠٨٧١..).

[٥] وفي لقاء مع الملحن احمد الخليل حيث قال.. اذيعت هذه الاغنية (اصيحن اه والتوبة) واشتهرت فصارت هي مغنية (يقصد مائدة نزهت) منذ ذلك الوقت، وانا اشتهرت ملحنا.. ثم يضحك) المصدر – لقاء صحفي مع احمد الخليل اجراه كمال لطيف نشر في جريدة القادسية، العدد ٣٧٣٧، ١٩٩١/١٠/٢١ ،ص الاخيرة.

[٦] ناظم نعيم – بغداد ١٩٢٦، – تعلم الموسيقى من اساتذة النصف الاول من القرن العشرين واختص بالعزف على الة الكمان والعود – دخل الاذاعة العراقية عام ١٩٤٧ ثم اصبح رئيس فرقة الاذاعة الموسيقية – لحن لكل اصوات عصره وكانت اشهر اغانيه بصوت ناظم الغزالي – هاجر منذ اواخر السبعينات الى امريكا وما زال هناك.

[٧] في كتابي (المقام العرقي الى اين؟) ذكر سهوا ان ميلاد السيدة مائدة نزهت في عام ١٩٣٢، ولكن الصحيح هو ١٩٣٧، فمعذرة للخطا. – المؤلف ــ

[٨] الكتاتيب/دار للتعليم، يعتمد العلوم الدينية في مراحلها الاولى، وتقوم مقام المدرسة حاليا، يتخرج منها التلاميذ وقد تعلموا القراءة والكتابة وبعضا من تفرعات العلوم الدينية، ليس القصد منها ان تكون هدفا، بل ربما مرحلة انتقالية للبعض المقتدر ليرتفع بمستواه، ومن ثم لتسنّم مناصب في وزارة الأوقاف أو في دوائر الدولة الأخرى... يقوم في الادارة والتدريس رجل واحد يدعى (الملاّ) على الاغلب الاعم ويعلم في اكثر من مجال واحد، وقد يحتاج (الدار التعليمي البسيط هذا) احيانا الى اكثر من معلم او (ملاّ) وهذا من الكتاتيب المهمة والكبيرة او المركزية التي ترعاها الدولة..(مكالمة هاتفية مع الاستاذ محمد واثق اسماعيل العبيدي، ظهر يوم ٢٠٠٣/١/٢٦ مع المؤلف).

[٩] يقول الموسيقار الراحل منير بشير في مذكراته (وفي هذه الاثناء عثرت على صوت جديد شكل اضافة كبيرة للاذاعة، وكان ذلك الصوت هو صوت مائدة نزهت.. فكلفت المحلن احمد الخليل بتلحين بعض الاغاني لها، وكانت اول اغنية لها هي اغنية (التوبة) التي وضعت مقدمتها الموسيقية واشتركت بالعزف معها على العود تشجيعا لها ودفعا لها للامام. (منية سمارة، محمد الظاهر،مذكرات موسيقى الحكمة، ص ٧٢)

[١٠] في لقاء مع الموسيقار غانم حداد، قال انه كان احد اعضاء لجنة الاختبار ولا يتذكر من كان معه من اعضاء اللجنة.

ونلاحظ في بعض الاحيان تفاوت ولو متقارب في ذكر تاريخ السنين لاغنيتها الاولى والالحان الاولى التي اعطيت لها، لصعوبة التذكر الدقيق من قبل الفنانين انفسهم لكبر سنهم ولبعد المدة الزمنية التي تصل الى خمسين عاما او الكثر بقليل.– المؤلف –

[١١] في مكالمة هاتفية مساء الثلاثاء ٢٠٠١/١٢/٢٥ بين المؤلف والفنان المسرحي الكبير خليل الرفاعي، قال ان فلم (فلم دكتور حسن) انتج في عام ١٩٥٤.. وبهذا فان معظم التواريخ تميل الى ان مائدة نزهت قد بدات مسيرتها فعلا منتصف الخمسينات.. وفي نفس الوقت اتصل المؤلف بالناقد الموسيقي الكبير عبد الوهاب الشيخلي ٢٠٠١/١٢/٢٥ الثلاثاء مساءا، حيث قال ان الفلم أنتج منتصف الخمسينات وقال ان عباس جميل لحن لمائدة في هذا الفلم.. قبل او بعد دخولها الاذاعة.. لا اتذكر.. ان الموضوع يحتاج الى تذكير لان عباس جميل ينجرف مع طيبته فيسبغ على شخصية ما جملة مكثفة من المديح تبعده عن الموضوعية فراسخ.. وانا اميل الى ان الفلم انتج بعد دخول مائدة الاذاعة.

[١٢] هلال عاصم – ناقد موسيقي كبير، كتب الكثير من النقد في الصحف العراقية والعربية، وعمل في الصحافة وكتب الكثير من الأغاني لأشهر المطربين في النصف الثاني من القرن العشرين، توفي اواخر ثمانينات القرن العشرين عن عمر ناهز الستين عاما.

• [١٣] علاء كامل – علاء كامل (علي عبد الرزاق حسن) علاء كامل من مواليد عام ١٩٢٦ في مدينة البصرة وقد اتم دراسته

يقول الموسيقار الراحل منير بشير في مذكراته (وفي هذه الاثناء عثرت على صوت جديد شكل اضافة كبيرة للاذاعة، وكان ذلك الصوت هو صوت مائدة نزهت.. فكلفت المحلن احمد الخليل بتلحين بعض الاغاني لها، وكانت اول اغنية لها هي اغنية (التوبة) التي وضعت مقدمتها الموسيقية واشتركت بالعزف معها على العود تشجيعا لها ودفعا لها للامام.

الثانوية فيها ثم تابع دراسته في بغداد في كلية الحقوق ونال شهادة الليسانس في القانون. شكل فرقة موسيقية عندما كان طالبا في كلية الحقوق، واول وظيفة شغلها في الاذاعة كانت (مراقب موسيقى) الى ان تشكلت مديرية لبرامج الموسيقى واصبح هو مديرها. اول لحن لحنه علاء اغنية « متكولي اشلون انساك « التي غناها المطرب السوري حسن الملواني. وسجل اول لحن للثورة ١٩٥٨ وهو « بشرى يا ارض الحرية « من كلمات مؤلفة الاغاني « امل سامي « زوجته واستمرت اغانيه الوطنية والعاطفية اشهرها اغنية « الماجينة» واغنية « بات « « والسحور « واشترك مع الفنانين سمير بغدادي (وديع خوندة) ومحمود عبد الحميد في تلحين اوبريت « ليلة طرب « من اعداد عبد المجيد الملا ووديع خوندة، ولانغام بلادي ووضع موسيقى تمثيلية « تحت موس الحلاق «. وقد انتخب رئيسا لجمعية الموسيقيين العراقيين عند تاسيسها. كما كان له باع طويل في الصحافة فقد كان يكتب في جريدة المواطن « اذن وعين « « الناس والفنون «.

وفي عام ١٩٧١ صدر الامر الوزاري من وزارة الاعلام بتفريغ السيد علي عبد الرزاق لادارة معهد الدراسات النغمية العراقية وفي عام ١٩٧٣ اوفد مع السيدين سلمان شكر وارام بابوخيان الى الجزائر لمدة عشرة ايام لحضور المؤتمر الثالث « للمجمع العربي الموسيقى « بمدينة الجزائر وبعد عودته من السفر وفي نفس العام توفاه الله برحمته يوم ١٩٧٣/٥/١٠. ولقد تغنى بالحانه من المطربين العرب حسن الملواني ومها الجابري وهالة رمزي ومن العراقيين محمد كريم ومحمود عبد الحميد وعفيفة اسكندر ومائدة نزهت واحلام وهبي وحسين السعدي وغيرهم.

[١٤] ياسين الشيخلي – ولد في باب الشيخ من بغداد – كان يهوى الموسيقى والغناء منذ صغره خاصة وانه اخذ من الاداء الديني الكثير حتى مارس التلحين لكثير من الاصوات الغنائية الدينية والعاطفية والوطنية، ولد عام ١٩٤١ ببغداد وهو عازف كمان في الفرقة الرئيسية للاذاعة والتلفزيون ومهندس صوت ومخرج اذاعي من الدرجة الاولى.

[١٥] فاروق هلال – ولد في بغداد ١٩٣٩ في نفس اليوم الذي اغتيل فيه الملك غازي – دخل معهد الفنون الجميلة ١٩٥٧ وتخرج اوائل الستينات واول لحن له غناه في الاذاعة كان (عالبال يا حبيبي) ومن الحانه المشهورة (سالت عنك) لمائدة نزهت.. ولحن الكثير للفرق الجماهيرية ويعتبر رائد في الضرب وابرز اعماله بحق قصيدة بلدي.. مثل وغنى في فلمين سينمائيين وكانت من اغانيه المشهورة في بداياته اغنية (سوف تمضين) كلمات ابراهيم الزبيدي، واغنية (يا عيني على رقة حبيبي) وغيرها الكثير – تولى مناصب عدة منها رئيس جمعية الموسيقيين العراقيين ونقيب الفانين ومدير عام دائرة الفنون الموسيقية وكالةً ونائب رئيس التجمع الثقافي في العراق ويشغل حاليا مستشار وزير الاعلام اضافة الى عضوية في لجان عديدة.

[١٦] جمال جلال – فنان قدير من القومية الكردية، ولد في محافظة السليمانية ١٩٣٨ – دخل معهد الفنون الجميلة وتتلمذ على يد الفنان غانم حداد – مارس الغناء وغنى كثير من الالحان ولحن الكثير من الالحان لنفسه ولغيره من المطربين.

[١٧] كنعان وصفي – ولد في الموصل عام ١٩٣٢ وهو من القومية الكردية – جاء الى بغداد ثم غادرها الى القاهرة عام ١٩٥٢ وعمل هناك في التمثيل والغناء ومثل افلاما مصرية كثيرة مع مشاهير السينما مثل فريد شوقي ومحمود وشكري سرحان وعبد الله غيث ويحيى شاهين وغيرهم الكثير – غنى في مصر نشيد – بلادي بلادي – لسيد درويش وساعده على ذلك قوة حنجرته ثم عاد الى بغداد عام ١٩٧٢ وبقي فيها حتى وفاته ٢٠٠٠ لحن الكثير من الاغاني والاناشيد الوطنية وابرزها قصيدة للشاعر سامي مهدي (صدفة) غنتها انوار عبد الوهاب.

[١٨] طالب القرغولي – ١٩٣٨، ولد في قرية نصر من الناصرية التي كانت تسمى قرية غازي نسبة للملك غازي. شب محبا للموسيقى والغناء، ولكنه لم يدرسها اكاديميا وانما تعلمها بالسليقة – عزف على العود واخذ يدرب نفسه على تعلم قراءة وكتابة النوتة الموسيقية حتى تمكن منها – لحن لكل الاصوات عصره ومنها الاصوات العربية مثل – وردة– سعاد محمد – صباح – سميرة سعيد – سوزان عطية – واخرين غيرهم – شغل منصب مدير الموسيقى في الاذاعة والتلفزيون – ومعاون مدير عام دائرة الفنون الموسيقية – عضو اللجنة الوطنية العراقية للموسيقى، يعتبر من ابرز الملحنين صياغة لمعنى الشعر.

[١٩] خليل ابراهيم – ولد في بغداد عام ١٩٤٤ – ولقد جاهد والده في منعه من الموسيقى ولم ينجو من هذه المجاهدة الا بعد رحيل والده فاتجه الى معهد الفنون الجميلة وتخرج منه عازفا على الة الكمان اذ يعتبر امتداداً للعازف غانم حداد في اسلوبه ثم اتجه ايضا الى التلحين وكتابة المقطوعة الموسيقية – ولحن لعدد كبير من اصوات عصره ابرزهم مائدة نزهت وسعدي الحلي وعبد الجبار الحكيم وفاضل عواد.

عن كتاب المقام العراقي
حسين الاعظمي 2005

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
عدنان حسين

مدير التحرير: علي حسين

الاخراج الفني: نصير سليم

التصحيح اللغوي: نوري صباح

طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

مائدة نزهت
امام قبر ام كلثوم 1976

اسماعيل الخطيب
باحث موسيقي

من المصادفات الحلوة التي أدت الى ميلاد أغنية جديدة أن حدث ذات مرة وبعد مرور شهر تقريباً على بث أغنية مائدة نزهت الجديدة الأولى في حياتها الفنية من إذاعة بغداد التي كتبها ولحنها أحمد الخليل سنة ١٩٥٤ التي كان مطلعها (يللي تريدون الهوه صبروا على أحو) أن التقينا أثناء خروجنا أنا والفنان احمد الخليل من دار الإذاعة في الصالحية ببغداد. وفي الممر الأمامي لها التقينا بالفنانة المصرية المعروفة(نرجس شوقي) وهي داخلة الى الإذاعة لتقديم حفلتها الاسبوعية التي كانت تبث على الهواء مباشرة.

وبعد تبادل عبارات التحية المعتادة بيننا، قالت نرجس لأحمد ليش يا احمد إشبدلك .. ما كنت حلو معايا .. مين الست مائدة دي حتى تاخذك منا.. يظهر أن الوقت هذه الأيام للشابات الصغيرات وليس للعواجيز أمثالنا أنا وعفيفة .. فقال أحمد الخليل على الفور أستغفر الله يا ست مين اللي تقدر توصل مكانتك وفنك بالمناسبة أنا محضر لك أغنية جديدة حلوة كنت سأخبرك عنها ولكنك سبقتيني .

فارتاحت نرجس لهذه الإجابة وقالت ما دام كده.. أنا مستنياكم بكره .. بس أيه هو الكلام . فقال أحمد إسألي الأستاذ اسماعيل أهو أمامك يخبرك .. فقلت لها: سيعجبك إن شاء الله إطمئني

وافترقنا..

وفي الطريق سألت أحمد عن الموضوع فقال ضاحكاً لم أجد طريقة أخرى للتخلص من الموقف غير هذه الكذبة فقلت له يا حلو كلي اشبدلك روحي أضحيها الك . فأمسك أحمد بيدي وقال فرحاً هذه هي الأغنية وأخرج علبة سكائر وسجل هذا الكلام عليها وقال أريد منك بقية كلام الأغنية. ولما تلاقينا في اليوم التالي سلمتهُ الأغنية وكانت كما يلي:

يا حلو كلي اشبدلك. كلي دكلي؟
روحي أضحيها الك. كلي دكلي؟
كلما ردت.. كلما طلبت
ضحيته لأجلك بس إلك
يا حلو كلي اشبدلك. كلي دكلي؟

إلى آخر كلمات الاغنية التي لحنها أحمد الخليل خلال ذلك الاسبوع وكانت من مقام الاوشار وهو من المقامات القوية الفرحة وقد أبدعت نرجس في أدائها جداً وحققت الأغنية نجاحاً منقطع النظير وانتشرت في حينها بسرعة بحيث أصبح الناس يرددونها في أفراحهم ومناسباتهم سنوات عديدة حتى أن الفنان روحي الخماش رحمه الله سجلها مع فرقة معهد الفنون الجميلة التلفزيون بعد أكثر من خمس وعشرين سنة على أنها من الأغاني العراقية التراثية القديمة دون الإشارة الى مؤلفها اسماعيل ابراهيم الخطيب أو ملحنها المرحوم أحمد الخليل ..

مائدة نزهت والمقام العراقي

كان التقليد المهيب في الغناء المقامي يمنع ان يؤدى مقاماً معيناً الا وقد انطلق من التقليد التام .. واول واهم مراكز التقليد هي ان تكون القصيدة المغناة ذاتها التي سبق ان غناها احد المغنين المشاهير وفي نفس المقام المعين . فمقام الحويزاوي الذي غناه المغني التاريخي محمد القبنجي ، وبما لهذا المغني الكبير من سطوة هائلة على الجماهير فقد كان مقامه الحويزاوي له سطوه اخرى على مسامع واذواق المغنين والجماهير منذ ان سجله اذاعياً عام ١٩٥٦ واعاد غنائه عام ١٩٦٤ في مؤتمر ومهرجان الموسيقى العربية الثاني الذي انعقد في بغداد ، وهذه المرة سجل تلفزيونياً بحيث لم يجرأ اي من المغنين الاخرين ان يغنوا مقام الحويزاوي بعد هذا التاريخ الا بنفس القصيدة و نفس الاداء الذي اداه استاذنا محمد القبنجي ، و القصيدة مأخوذة من كتاب الف ليلة و ليلة. ففي هذا المقام كمقاماته الاخرى كان القبنجي كطائر تاريخي من العصور القديمة يبسط جناحيه الهائلين صوب المشرق و المغرب ، والكل تحت خيمته.. فمن يجرؤ على مجرد طرح رأي ولو كان بسيطاً ...

غنى القبنجي مقام الحويزاوي ، فغزى القلوب والافكار والهب المشاعر في قصيدة لو كان قائلها حي يرزق لقدم الولاء والشكر والعرفان لهذا الفنان لانه خلدها بالفعل ، اذ نفض غبار الزمن عنها واظهر بريقها الوهاج .

اما تجربة المطربة مائدة نزهت ، حيث غنت هي الاخرى مقام الحويزاوي باسلوب فني مغاير تماما لاسلوب مطرب الاجيال محمد القبنجي و مغاير ايضا لاسلوب فنان القرن العشرين ناظم الغزالي، ولم يكن ذلك لمرة واحدة بل كررت ذلك مرتين و بقصيدتين جديدتين مختلفتين ففي المرة الاولى غنت الفنانة مائدة نزهت مقام الحويزاوي بقصيدة عبد المجيد الملا

يا من هواه اعزه و أذلني كيف السبيل الى وصالك دلني
واصلتني حتى ملكت حشاشتيورجعت من بعد الوصال هجرتني

وفي المرة الثانية اثبتت الفنانة مائدة نزهت امكانياتها الابداعية وغنته بقصيدة الشاعر المخضرم حافظ جميل بأجمل ما يمكن ان يكون.

وا عظم بلواك من هم تعانيه ومن جوى ألم في النفس تخفيه
لله أهتك الحرى اذا انبعثت عن لاعج في سواد الليل تذكيه

١٩٧٩

وابدعت مائدة ايما ابداع في المقام العراقي لما تمتلكهمن حس فني رائع وقدرات صوتية واسعة اعتزلت مائدة الغناء في اواسط الثمانينات وتحجبت وحجت الى بيت الله الحرام مع ولدها البكر اياد وابتعدت عن الفن الى غير رجعة .

عراقيون
من زمن التوهج